دفاعاً عن القرآن

إعلام السادة النجباء

أنه لا تشابه بين الضاد والظاء

دراسة تجويدية، لغوية، تاريخية، أصولية

أعده ونشره
الدكتور أشرف محمد فؤاد طلعت

يطلب من:
مكتبة السنة
القاهرة - عابدين - خلف مسرح الجمهورية - ت ٣٩٠٠٣١٨

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م

ايداع رقم ٢٠٨٨/٨٨

دار الجيل للطباعة ٨ قصر اللؤلؤة - الفجالة

جمهورية مصر العربية تلفون ٩٠٤٣٤٣ - ٩٠٥٢٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد ،

فنحمد الله تعالى على نعمة التوفيق ، ونشكره أن استعملنا فى خدمة كتابه العزيز ، وندعوه سبحانه أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم .

ولا يفوتنا أن نذكر بالفضل والعرفان كلّ من شارك فى إتمام هذا العمل فلا ننسى — بعد حمد الله تعالى أولاً وآخراً — أن نتوجه بالشكر لفضيلة الشيخ العلامة / أحمد عبد العزيز الزيات على ما أبداه من مشاركة ونصيحة وإفادة ، حفظه الله ونفع به ، وكذلك الشيخ الفاضل / عتريس محمد عبد العزيز القوصى ، رئيس رابطة القراء بالقاهرة وفضيلة الشيخ / عبد الباسط محمد عبد الصمد رئيس النقابة العامة للقراء وشيخ عموم المقارىء الحالى وكذلك فضيلة الشيخ / أحمد

الرزيقى وكيل مشيخة القراء والشيخ الفاضل / أحمد على مرعى رئيس لجنة تصحيح المصاحف بالأزهر الشريف ، والشيخ الفاضل / إبراهيم عطوة المدرس بالأزهر الشريف والشيخ الفاضل د / عبد العزيز عبد الحفيظ والشيخ الفاضل/ عبد الرازق البكرى المدرس بمعهد القراءات .

وأخص بالشكر أيضاً فضيلة الشيخ / رزق خليل حبّة نفع الله به وبعلمه ، وكذلك السيدة الفاضلة الحاجة / ثريا على الضباع ابنة الشيخ / على محمد الضبّاع شيخ عموم المقارىء المصرية ــ فى وقته ــ رحمه الله تعالى وأجزل ثوابه، وكذلك السادة المسئولين بالمكتبة الأزهرية وبالمكتبة المركزية بكلية الدراسات الإسلامية وكذلك بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية .

وأوجه مزيداً من الشكر والتقدير إلى الأخ الفاضل الباحث الدكتور / أحمد عبد التواب صاحب رسالة / قضية الضاد فى التراث اللغوى عند العرب ، فقد أفادنى أيّما إفادة ونفعنى أيّما نفع ، ولا عجب فى ذلك فموضوع البحث هو أصل تخصصه فهو ــ حفظه الله ــ مدرس بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف قسم أصول اللغة والرسالة المذكورة هى التى نال بها درجة الماجستير ، وهى موجودة بالمكتبة المركزية بكلية الدراسات الإسلامية برقم ٧١٠ ، وإنى لأرجو من الله أن تجد هذه الرسالة طريقها إلى القراء العرب والمسلمين ليعمّ النفع والإستفادة بها .

وأخيراً ، أشكر كلّ من ساهم معنا فى هذا العمل ونسأل الله

تعالى أن يأجرنا وإياهم خير الأجر ، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

د . أشرف محمد فؤاد طلعت

القاهرة فى ٢٥ ربيع الأول سنة ١٤٠٨ هـ
١٧ نوفمبر سنة ١٩٨٧ م

كلمة فضيلة الشيخ / أحمد عبد العزيز الزيّات

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن اهتدى بهداه أما بعد :

فقد اطلعت على الرسالة المسماة بـ « إعلام السادة النجباء أنه لا تشابه بين الضاد والظاء » التي قام بترتيبها وجمعها ونقلها ولدنا الدكتور / أشرف محمد فؤاد طلعت ، فوجدتها كافية شافية وفيها مقنع لمن اتعظ واعتبر ، وأراد لنفسه الخير وعدم التخبط فى الحروف القرآنية التى جاءت متواترة مسندة من لدن رسول الله ﷺ إلى أن وصلتنا لا تحريف فيها ولا تبديل ، وقد تلقينا الضاد كما ننطق بها ضاداً خالصة لا شبيهة ولا مشتبهة فيما تلقينا من القرآن عن المشايخ الأثبات الثقات الذين تلقوها هكذا ضاداً خالصة عن العلامة المتولى عليه رحمة الله وهكذا وجدنا الإجماع على هذا النطق فى من عاصرنا من المشايخ الكبار من القراء والعلماء ، ولم نجد من نطق بالضاد شبيهة بالظاء فى السمع ولكن حدث هذا النطق من واحد أو اثنين ممن تأثر ببعض الكتب الموجودة فى الرسالة .

فعلينا أن نرجع إلى الإجماع ولا نلتفت إلى من شذ ولا نطيل بعد ذلك فإن المنصف الذى يريد الحق لا يحتاج إلى كثرة الكلام ، ﴿ إن

فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ .

فنشكر الأخ / أشرف محمد فؤاد طلعت على ما قام به من جهود ونسأل الله أن يتولّى جزاءه فإنه نعم المولى ونعم النصير .

الشيخ / أحمد عبد العزيز أحمد محمد الزيات

كلمة فضيلة الشيخ رزق خليل حبه

الحمد لله : يحق الحق بكلماته ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أنزل عليه ربه آياته صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وذرياته، الذين نقلوا إلينا القرآن عذباً مسلسلاً متواتراً فضاعف لهم ربهم من حسناته . وبعد :

فقد اطلعت على هذا البحث القيم المسمى (بإعلام السادة النجباء أنه لا تشابه بين الضاد والظاء) هذا البحث الفريد من نوعه من عمل الأستاذ الدكتور (أشرف محمد فؤاد طلعت) الذى أراد الله له أن يجمع بين العلم والحكمة .

ولقد دهشت وسررت مما جاء به ، وحمدت الله تعالى أن جعل الخير فى أمّة محمد إلى أن تقوم الساعة فلقد بذل الدكتور أشرف مجهوداً كبيراً فى جمع المعلومات التى تقطع الطريق على كل من تسوّل له نفسه أن ينطق الضاد كالظاء ودعَّم بحثه بأعظم الأسانيد والمراجع المنقولة عن السادة العلماء الذين برزوا وظهروا فى علم التجويد والقراءات، والذين لا مثيل لهم فى عصرنا ومستقبلنا ، وإذا كان لى من كلمة أو رأى : فإنى أرانى عاجزاً عن التعبير الصحيح لبيان هذا البحث الجليل ولا يسعنى إلا أن أدعو لصاحبه بالتوفيق فى جميع ما

يسند إليه . راجياً المولى عز وجل أن يجعله باباً وطريقاً له ولنا لدخول جنته . وأن يكثر من أمثال هذا الطبيب البارع فى مهنته الموفق فى بيان فضل الله وحكمته. والله أسأل أن يجزيه عنا وعن القرآن خير الجزاء إنه سميع الدعاء .

رزق خليل حبه

شيخ المقارىء المصرية/ ووكيل لجنة المصاحف بمجمع البحوث

كلمة فضيلة الشيخ / عبد العزيز عبد الحفيظ

الحمد لله الذى أنزل القرآن العظيم بلسان عربى مبين على خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، أنزله بأفصح اللغات وأصدق اللهجات وأزكى العبارات وأقيم المعانى ، وأطيب المبانى ، لا اعوجاج فيه ولا تحريف ، ولا تعسف فى تلاوته ولا يملّ من قراءته ، قرآناً عربياً غير ذى عوج ، سهّل قراءته على عباده للتدبر ، ويسر تلاوته عليهم للحفظ والتذكر . وبعد :

فإنه مما يحزن قلب المؤمن الغيور على كتاب ربه ، ما ظهر فى هذا الزمان من بعض من يتصدّون للإقراء ممن غرّتهم الأمانىّ ولعبت بهم الأهواء ، مما حدا بهم إلى بحثهم عن غرائب الأشياء ، وجريهم وراء هواة الجدل والمراء وأدّاهم ذلك إلى أن اغتروا بكلام سطره بعض من سبقهم ، حيث كتبوا ما كتبوا من غير تبصر أو تعقّل ، فما كان من هؤلاء إلا أن أطفأوا مصباح عقولهم ، وجحدوا نعمة ربهم ، فجرّهم ذلك إلى أن أشاعوا بين الناس فتنة خرقاء ، وأنزلوا بهم بليّة حمقاء وذلك بأن أوعز كل مقرىء منهم إلى من يتلقي عنه أن حرف الضاد يشبه فى نطقه وصوته حرف الظاء ، وبدأ تلاميذهم يروّجون لتلك الفكرة ، وتعسّفوا فى نطق الضاد تعسّفاً لا يرضاه الله الذى أنزل هذا القرآن سهلاً ميسّراً ، حتى أصبح السامع لأحدهم لا يميز

بين ضادهم وظائهم ، وكاد هذا التعسّف والتكلّف يسرى بين الناس سريان النار فى الهشيم ، يشعلها ويذكيها منهم كل شيطان رجيم ، وهم لا يبتغون من وراء ذلك إلا الشهرة ، ويطمعون فى أن تكون هم على زملائهم الإمرة ، حتى صرفوا من يتلقى عنهم عن تدبر كتاب ربهم ومعانيه إلى التعسّف والتكلّف فى إخراج حرف بعينه ليكون ذا مكانة خاصّة عند سامعيه وكادت هذه الفتنة أن تفسد على الصغار والكبار حسن أدائهم ، وأن يلبّسوا عليهم أمر دينهم ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، وما هم ببالغيه إلا أن تقطّع قلوبهم ولما جاء إليهم من يدلّهم على طريق الرشاد ، ويرشدهم إلى جادة الصواب ، ويبين لهم أن كتاب الله لا تعسّف فيه ولا تكلّف ، وأنه يسير على من يسّره الله عليه ، وأن التكلّف وأضاعة الوقت فى ليّ الألسنة بحرف من حروفه يؤدّى إلى مزج أكثر من حرف فى حرف واحد وينهاهم عمّا أضاعوا أوقاتهم فيه ، اتهموه بقلّة العلم والقصور وسوء الفهم ، وباتوا يتربّصون به ريب المنون ، ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون .

ولما كانت سنّة الله فى خلقه تقتضى أن يقذف بالحق على الباطل فيدمغه ، فقد قيض الله تعالى لمحق هذه الفتنة ومحو هذه البدعة أخاً فاضلاً ممن درس فنّ التجويد والقراءات فى الأزهر الشريف وغيره وهو الأخ الدكتور/ أشرف محمد فؤاد طلعت ، حيث سبر أغوار هذا الموضوع وكشف عن مراميه ، وأنار السبيل فى هذا الأمر وأبان الحق فيه ، ولم يغتر كغيره بكلمة قالها بعض من سبق فى غير تعقّل أو تأمل ، فشمر هذا الأخ الفاضل عن ساعد جدّه وقام بعمل بحث

شامل ضاف فى هذا الموضوع ، تتبّع فيه كتب السلف التى ألفت فى فن التجويد والقراءات ، ونظر فى كل ما كتب حول مخارج الحروف وصفاتها خصوصاً حرفى الضاد والظاء ، ثم عقد فصلا خاصاً مما فتح الله به عليه بذل فيه جهداً كبيراً وصل من خلاله إلى أن استنبط أدلة لا تقبل الجدل على أن لكلّ حرف صوته الخاص الذى يميّزه عن غيره من الحروف وأنه لا يوجد أى شبه صوتى بين حرف وآخر من حروف الهجاء حتى وإن اتحد هذان الحرفان مخرجا وكانا على أكبر قدر من القرب صفة ، فخرج بعد هذا التنقيب وهذه المطالعات ببحث مستفيض ظهر من خلاله الحق واضحاً ، وقد تبين لى حين قرىء علىّ هذا البحث من أوله إلى آخره أنه قد ثبت لكل ذى سمع سليم وذوق قويم ، بما لا يدع مجالاً للشك أن الضاد التى ننطق بها والتى تلقيناها عن مشايخنا وتلقوها هم عن مشايخهم صحيحة مائة فى المائة ولا صلة لها بصوت الظاء من قريب أو بعيد ، كما يظهر لى أيضاً أن من يقول غير ذلك فهو إنسان مجانب للصواب ، مفتون ببعض آراء غريبة بعيدة كلّ البعد عما أجمع عليه أهل هذا الفن ، وأن الحق كلّ الحق فى التمسك بما تلقيناه عن شيوخنا وأن الإلتفات إلى هذا الهراء الذى يقول به من جانبوا الإجماع من أن الضاد شبيهة بالظاء فى السمع عبث بحروف كتاب الله تعالى يتحمل وزره كل من سار فى هذا التيار أو مضى فى هذا السبيل ، والحجة قائمة عليهم إلى يوم القيامة .

هذا وقد أعجبنى فى هذا البحث أنه لم يقتصر فيه باحثه على قراءة القديم فحسب ولا الحديث فحسب بل إنه جمع بين الطريقتين

وقرأ للفريقين مما جعل البحث ذا قيمة علمية لم أطلع على مثله فى مثل هذا الموضوع الذى افتتن به بعض المشايخ .

كما أن هذا البحث يمتاز بالأمانة العلمية ، فلا تحيّز فيه ولا انحياز ، بل يبحث عن الحق للحق ، فقد كتب فيه كاتبه آراء من وافقونا ومن خالفونا بمنتهى الأمانة ثم ناقش المخالفين لإجماع القراء مناقشة علمية هادفة مركّزة ، حتى جاءت الحقيقة من خلال هذه المناقشة ساطعة مضيئة لكل ذى بصيرة ، أما أن تعشى بعض العيون عن رؤية شمس النهار الساطعة فما هذا لعيب فى الشمس وإنما العيب كل العيب فى تلك العيون المقفلة التى لا تطيق رؤية النور والتى يؤلمها ضياؤه وسطوعه ، قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم وإنى لأرجو الله تعالى مزيداً من التوفيق للمخلصين من محبىّ القرآن الكريم ، حتى يزيلوا الشبهات ويذبّوا عن كتاب الله تعالى ، فإنه ما من عمل أحب إلى الله تعالى من الذّود عن كتابه ، وما حفظ الله تعالى كتابه إلا بما يبذله المخلصون من جهد آناء الليل وأطراف النهار ليزيلوا الشوائب التى قد يلقى بها البعض من المتقعرين والمتفيهقين حول هذا الكتاب المجيد ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، هذا وقد رأيت أن اطلق على هذا البحث اسم « انزال عاجل القضاء بقطع لسان من ينطق الضاد كالظاء » .

والله نسأل أن يوفق الجميع إلى ما يحبه ويرضاه .

الشيخ / عبد العزيز عبد الحفيظ محمد

من علماء الأزهر والمتخصص فى قسم القراءات

تقديم

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادى له .

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿ يَـٰأَيها الذين أمنوا اتقوا الله حقَّ تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون ﴾[1] .

﴿ يَـٰأَيها النّاس اتقوا ربّكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إنَّ الله كان عليكم رقيبا ﴾[2] .

﴿ يَـٰأَيها الذين أمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ﴾ . ﴿ يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوراً عظيماً ﴾[3] .

---

(١) آل عمران: الآية ١٠٢ .

(٢) النساء: الآية ١

(٣) الأحزاب: الآية ٧٠، ٧١ .

الحمد لله الذى جعل لغة العرب أشرف اللغات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الأثبات ، الذين نقلوا القرآن عذباً مسلسلاً حتى وصل إلينا صحيحاً فصيحا كيوم أنزل على خير البريّات .

وبعد : فإنّى استخرت الله تبارك وتعالى أن أضع رسالة أبيّن فيها مخرج حرف الضاد .. وأذكر صفاته ومعنى كلّ صفة منها ، وأن أوضح بطلان قول من قال : إنّ الضّاد شبيهة بالظّاء فى السمع فشرح الله لذلك صدرى ، ويسر لى فيه أمرى ، وحلّ عقدة من لسانى حتى يفقهواَ قولى ، وأعاننى على قضائه بتيسير المصادر التى أخذت منها من كتب ومخطوطات وأقوال القرّاء المعتبرين المعتدّ بهم فى قراءتهم المتصل إسنادهم برسول الله ﷺ .

فقلت مستمدّاً من الله العون :

الفصل الأول

بيان بأسماء من قالوا باشتباه
الضاد بالظاء في السمع
وموقف علماء المسلمين من هؤلاء

مع نهاية القرن العاشر الهجرى وبداية القرن الحادى عشر .. قام بعض المشتغلين بالعلوم العقلية فى ذلك العصر بالنظر فى تراث علمائنا القدامى .. فوجدوا أن ظاهر ما صرح به أئمة اللغة فى كتبهم يدل على أن الظاء أقرب الحروف إلى الضاد وأن الضاد تشبه الظاء ، فخرجوا على قرّاء عصرهم بدعوى أن النطق بالضاد كالظاء أو ممزوجة به ـــ كما هو الحال فى نطق العراقيين ـــ هو النطق الصحيح والذى يجب أن يحتذيه ويصير إليه كافّة القراء فى نطقهم بالضاد فى تلاوتهم للقرآن الكريم ، وصنّفوا فى ذلك عدّة كتيبات(١) .

فأول من دعى بهذه الدعوى الشيخ/ على (نور الدين) بن محمد بن غانم المقدسى(٢) ، ثم جاء من بعده من جدد دعواه هذه بعد اندثارها وهو الشيخ/ محمد المرعشى المعروف بساجقلى زادة(٣) لذا يذكر الشيخ الضبّاع(٤)، رحمه الله تعالى أن ابن غانم المذكور ألّف

---

(١) قضية الضاد فى التراث اللغوى ـــ رسالة ماجستير ص ٢٥٤ ، ٢٢٥ .

(٢) انظر ترجمته فى الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة لنجم الدين الغزّى ـــ بتحقيق د/ جبرائيل سليمان جبّور ٢/ ٢١٥ بيروت ـــ لبنان ـــ والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ـــ الشوكانى ١/ ٤٩١ الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ وخلاصة الأثر للمحبّى ٣/ ١٨٠ ـــ ١٨٥ بيروت ـــ وكشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٢٥٠ مكتبة المثنى بغداد .

(٣) انظر ترجمته فى ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون ـــ لإسماعيل باشا البغدادى ١/ ٣١٥ الطبعة الثالثة ـــ تبريز طهران ١٣٧٨ هـ ـــ ومعجم المؤلّفين لعمر رضا كحاله ١٣/ ١٤ دمشق ١٩٥٧م ـــ والأعلام للزركلى ٦/ ٦٠ .

(٤) هو على بن محمد بن حسن بن إبراهيم الملقّب بالضبّاع، مصرى علاّمة كبير وإمام مقدم=

= فى علم التجويد والقراءات والرسم العثمانى وضبط المصحف الشريف وعدّ الآى وغيرها .

وَلى مشيخة عموم المقارىء والإقراء بالديار المصرية على رءوس الأشهاد من كبار العلماء المبرّزين عن جدارة فنال منهم مكان الصدارة . وكان محيطاً لا يغيض وبحراً فى العلم لا يزال يفيض ، وكتب فى كل ماله صلة بالقرآن فأحسن وأجاد ، وناقش فأفحم وأفاد ، وردّ المغيرين على علوم القرآن بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله بصولته المسلمين منهم شرّاً وضرّا ، وكان نقيّاً زكيّاً ورعاً تقيّا زاهداً عابداً متواضعاً ليّن الجانب سمحا كريم النّفس لا يفتر عن تلاوة القرآن وعمّر طويلا .

وله أقران مبرّزون لم يبق منهم الآن إلّا الشيخ العلامة الفذّ الكبير فضيلة الشيخ/ أحمد عبد العزيز أحمد محمد الزيات المدرس بالأزهر سابقاً .

وممّن أخذ عن الشيخ الضبّاع القراءات العشر من طريق الشاطبية والدّرة وطيّبة النشر ، وكذلك القراءات الأربع التى فوق العشر من خارج مصر العلّامة المحقّق فضيلة الشيخ/ عبد العزيز بن الشيخ محمد على عيون السود شيخ القرّاء وأمين الإفتاء بحمص بسوريا ، وممّن أخذ عنه أيضا القراءات العشر من طريق طيّبة النّشر العلّامة المحقّق والثبت المدقّق الشيخ/ أحمد حامد الريدى التيجى المدنى ثمّ المكّى المقرىء الكبير وشيخ القرّاء بمكة المكرّمة .

وقد تلقى العلامة الضباع القراءات على غير واحد من ثقات الجهابذة الأثبات منهم : العلامة المحقق الشيخ حسن الكتبى والأستاذ الكبير الشيخ/ عبد الرحمن الخطيب الشعار ، وقد أخذ هذان العالمان على خاتمة المحققين العلامة الشيخ/ محمد بن أحمد المعروف بالمتولى شيخ القراء والإقراء بالديار المصرية وقته.وبعد حياة حافلة بالخدمات الجليلة لكتاب الله العزيز فاضت روح المترجم له إلى بارئها فى نحو سنة ست وسبعين وثلثمائة وألف من الهجرة النبوية (الموافق أول يناير عام واحد وستين وتسعمائة وألف من الميلاد) ، رحم الله المترجم له وأجزل له المغفرة والثواب وجزاه الله عن القرآن وأهله خيرا .. آمين . انتهى ملخصاً من كتاب هداية القارىء للشيخ/ عبد الفتاح المرصفى ص ٦٨٩ ـــ ٦٩٢ .

رسالة فى هيئة النطق بالضاد سماها « بغية المرتاد »(١) فرغ من تأليفها سنة خمس وثمانين وتسعمائة من الهجرة . وأنه لما أخذ فى نشرها قام فى وجهه العلامة الشيخ/ شحاذة اليمنى(٢) وناقشه بحضور قراء وقته فاعتذر بأنه لا يقول بامتزاج الحرفين وإنما يقول باختلاس الضاد ليضعف اطباقها وتخف قوتها ، ثم تاب ورجع وكان شيخاً للإقراء بمدرسة صرغتمش بمصر وتوفى سنة ست وألف من الهجرة . ا . هـ (٣).

ثم يقول الشيخ الضبّاع:

---

(١) الرسالة اسمها « بغية المرتاد لتصحيح حرف الضاد » يوجد منها نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٩٨ قراءات طلعت ـــ وأخرى بالمكتبة الأزهرية رقم (١٨٨) ١٦٢٢٦ قراءات .

قال الشيخ العلامة/ على المنصورى : وهى أحق بأن تسمى بغية الفساد بالإبتداع بالضاد ، وأظن أن نسبتها إلى المقدسى غير صحيحة وإنما نسبها إليه بعض المبتدعين ليضل بها الجاهلين ، وإن صح نسبتها إليه فهو من المبتدعة وكل بدعة ضلالة ، فلن نتبعه وجميع أدلته على تحريف النطق بالضاد بناها على زعمه الفاسد والمبنى على الفاسد فاسد ا . هـ ردّ الإلحاد فى النطق بالضاد ، للشيخ/ على المنصورى ـــ مخطوط رقم ٢٣٢ تفسير تيمور ـــ ورقة ٥ .

(٢) عالم فاضل نحرير فى القراءات والتجويد وغيرهما من العلوم الشرعية ، وهو من رجال الإسناد فى التجويد والقراءات السبع والعشر .

(٣) رسالة الضاد للعلامة الضباع ص ٣ ألفها ليردّ بها على من دعا بدعوى الضاد الظائية فى عصره وهو الشيخ/ محمد السباعى عامر ومن تابعه ممن اغترّ بقوله .

والنسخة التى بحوزتى من هذه الرسالة العميمة النفع هدية من السيدة الفاضلة الحاجة/ ثريا الضباع ابنة الشيخ الضباع الوحيدة ، فنشكر لها حسن صنيعها ، وندعوا الله تعالى أن يجزيها ووالدها خير الجزاء .

وفى سنة خمسين ومائة وألف من الهجرة ، وصل إلى العلامة الكبير الشيخ/ أبى عبد الله محمد بن يوسف المعروف بيوسف أفندى زادة[١] ، شيخ القرّاء بدار الخلافة وقتئذ نسخة من « جهد المقل »[٢] للشيخ/ محمد المرعشى المذكور ، ولما اطّلع على ما فيه من تحريف الضاد ، ألّف رسالة[٣] فى الردّ عليه ذكر فى خطبتها ما نصه :

وردت علىّ رسالة محمد المرعشى المعروف بساجقلى زادة ، المعمولة لتحريف الضاد الصحيحة وتغيير كيفية النطق بها التى كان عليها مهرة القرّاء وكملة أهل الأداء فطالعتها فوجدتها منطوية على الأقوال التى لا تثبت مدّعى صاحبها على ما نقل عنه بعض من صاحبه وكالمه ، وهو أن الضاد شبيهة بالظاء المعجمة ، بمعنى أنهما متحدتان فى اللفظ والسمع[٤] ، بحيث لا يفرق بينهما بحاسة السمع ، وذلك مع كونه باطلاً ، قول منه لا يثبته ما ذكره فى رسالته. ا. هـ[٥] .

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بيوسف أفندى زادة شيخ القراء بالأستانة — فى وقته — عالم فريد من نوعه فى كل العلوم خاصة علم التجويد ووجوه القراءات ، له شرح على صحيح البخارى ، وكتاب الائتلاف وكتاب فى القراءات الشاذّة ومقدّمة فى التجويد وغيرها مما يطول ذكره ، وهو أحد رجال الإسناد فى القراءات .

(٢) كتاب « جهد المقل » — وكذا شرحه — للشيخ/ محمد المرعشى يوجد منه أكثر من نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية والمكتبة الأزهرية .

(٣) رسالة المرعشى بدار الكتب المصرية رقم ١١٥ قراءات طلعت — ورقم ١٧١ مجاميع تيمور . ورسالة الشيخ/ يوسف أفندى زاده رقم ٢٥٦ قراءات طلعت .

(٤) الذى فى رسالة الشيخ/ الضباع — المنبع — بدلا من السمع ، وما أثبتّه من رسالة الشيخ/ يوسف أفندى زاده ص ١ .

(٥) رسالة الشيخ الضباع ص ٣ ، ورسالة الشيخ/ يوسف أفندى زاده ص ١ .

ومما جاء فى تصوير هذه الدعوى وما حدث من نزاع بين أصحابها وأئمة القراء فى ذلك العصر الذى ظهرت فيه قول الحافظ/ إسماعيل القونوى[(١)] (وهو أحد العلماء الذين حملوا على عاتقهم مهمّة الردّ على من ينادون بالضاد الشبيهة بالظاء) : إن المخالفين لنا ادعوا أن ما هو بعض من القرآن وحرف منه الضاد الظائية لا الضاد المشهورة ، ونحن معاشر أرباب التواتر نحكم بأن ما هو حرف من القرآن وبعض منه الضاد المتواترة لا الضاد المستحدثة فإنها ليست من حروف العربية فضلاً عن حروف القرآن[(٢)] .

ومن اختار الضاد الظائية لا يقتدى بقرّاء الضاد المتواترة ، وإذا اقتدى يعيد الصلاة[(٣)]، ولقد أفرطوا فى قدح ما ثبت بالإجماع والتواتر[(٤)] ، فنشروا فتنة فى بلاد المسلمين وأحدثوا تفرقة وأراجيف بين أهل القرآن ، فانتشرت وشاعت تلك الفتنة فى البلاد الإسلامية ،

---

(١) هو إسماعيل بن مصطفى أبو الفدى عصام الدين القونوى (١١٩٥ هـ) مفسر أصولى منطقى ، مولده « قونية » ووفاته « بدمشق » ، عمل رئيساً للمعلمين بدار السعادة ، من مؤلفاته : حاشية على تفسير البيضاوى ، وحاشية على المقدمات الأربع لصدر الشريعة ، والرسالة الضادية . انظر ترجمته فى سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر — للمرادى — ١/٢٥٨ — طبعة المثنى — بغداد . والأعلام للزركلى ١/٣٢٥، ٣٢٦ الطبعة الرابعة — بيروت .

(٢) الضاد وأحكامها للحافظ/ القونوى ورقة ١٨ ، ٨ ب ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٦٠ قراءات طلعت .

(٣) فتركوا الجمعة والجماعات ، وهذا أمر عجيب تسكب فيه العبرات وينشأ منه التقول فى المتواترات ا. هـ الضاد وأحكامها للقونوى ورقة ١٥ ب .

(٤) الضاد وأحكامها للقونوى ورقة ١٥ ب .

ولا سيما البلاد الشرقية ، وابتلى بها سكان تلك البلاد[1] .

وعن الزمن الذى ظهرت فيه هذه الدعوى يقول القونوى : هذه الدعوة استحدثت أولاً فى زمن على المقدسى ثم اندثرت إلى زمن ساجقلى زادة فأحدث ثانياً بمطالعته كتب التجويد بدون أخذ من فم المحسن[2] .

وقال فى هداية الطلاب : ابتدع على المقدسى بدعة ضل بها فأراد إضلال الغير فما سمعوا قوله وما ضلوا إلا قليل ممن اتبع هواه ثم ظهر ساجقلى زادة ، وكان أشهر منه فى العقليات ، وكان ممن يرحل إليه للإستئذان فى العلوم العقليات ، فاعجب بنفسه فألف رسالة فى الحروف الثلاثة المذكورة[3] مع أنه راجل[4] فى فن التجويد فاقتدى

---

(١) كتيب فى الضاد لأحد تلاميذ يوسف أفندى زادة ورقة ١ ب مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٣٢ تفسير تيمور .

(٢) الضاد وأحكامها للقونوى ورقة ٤ ب

وانظر رسالة قضية الضاد فى التراث اللغوى عند العرب ــ رسالة ماجستير للباحث الدكتور/ أحمد عبد التواب ــ كلية اللغة العربية ــ قسم أصول اللغة . والرسالة بالمكتبة المركزية بكلية الدراسات الإسلامية برقم ٧١٠ ــ ص ٢٢٥ .

(٣) يبدو أن ساجقلى زادة لم يكتف بتحريف الضاد فقط ، بل أعمل عقله أيضاً فى حرفين آخرين من حروف العربية وهما الطاء والراء ، واستنتج لهما نطقا جديداً من مطالعته للكتب بدون أخذ من شيخ متقن للتلاوة فخالف اجماع المسلمين ، وهاجم القراء والعلماء وذمّهم ، اعتدادا بعقله ورأيه ، ضاربا بنصوص أهل العلم ــ فى وجوب التلقى والمشافهة فى القرآن الكريم بالإسناد الصحيح ــ عرض الحائط ، فأقام الله تعالى فى وجهه علماء عصره حفظاً لكتابه وصيانه له من تحريف المحرفين ، فأجابوا وأجادوا وأفحموا ، وهذه سنة الله فى خلقه ﴿ **فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض** ﴾ .

(٤) (الراجل) ضد الفارس ــ مختار الصحاح (رجل) ــ المعنى أنه قليل البضاعة فى فن=

أثر ذلك المبتدع فضلّ وأضلّ كثيراً من تلاميذه(١) .

= التجويد .

(١) هداية الطلاب فى النطق بالضاد على سبيل الصواب للحاج/ محمود ورقة ١٥ ب مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١١٩ قراءات طلعت . وقال تلميذ الشيخ/ يوسف أفندى زادة : وأما ما اخترعه بعض المقصرين المصرين على الضلال والعناد ، اغتراراً بما حصلوه من العربية من غير مراجعة والتفات إلى أستاذ آخذ للقرآن بصحيح الإسناد ، فتعصب بارد وزعم فاسد ورأى كاسد ، لما فيه من القاء الفتنة بين المؤمنين والحاد فى كلام الله الماجد ، ولقد صنف رجل متغند مضل ــ يعنى ساجقلى زادة ــ رسالة فى اثبات الضاد الملحونة القبيحة ، وكتابا سماه « جهد المقل » فذكر فيهما بزعم ايضاح حرف الضاد أقاويل عاطلة وأتى بأسانيد واهية وأدلة باطلة ، فنشر فتنة عظيمة ، وبلية جسيمة فى ساحات بلاد المسلمين ، وزرع مزرعة علم التجويد بزر الغاء حرف من حروف ما أنزله رب العالمين ، فتابعه شرذمة أغبياء من المتعصبين من غير علم وبرهان ، فأحدثوا تفرقة وأراجيف بين أهل القرآن ، فانتشرت وشاعت تلك الفتنة فى البلاد الإسلامية ، لاسيما فى أكثر البلاد الشرقية ، وابتلى بها سكان تلك البلاد فصارت قراءتهم مشوبة باللحن الجلى غير نقيّة ، ويقول هؤلاء المفتونون قولاً عجيباً يتنفر عنه الطباع والأسماع وهو أن الضاد والظاء يفترقان بحسب المخرج ويتحدان من حيث اللفظ والإستماع ، وهذا قول لا يصدر عن عاقل من نوع الإنسان ، بل يرده كل من له طبع سليم وفكر ثاقب ، ويضحك منه من له أدنى معرفة بعلم اللغة ذات الشان ، لأنه إذا لم يتميز الحرفان بحسب السمع يلتحقان بأصوات البهائم بلا مرية ، ويلزم منه اسقاط حرف من حروف النظم ، فهو خيانة بينة لكتاب الله تعالى ، وعظيم الفرية ، واعتنى أولئك المتعصبون بتلك الرسالة المزيفة ، ولا يدرون أن جامعها ليس له حظ من علوم القرآن ، ولا يعرف أحد من الثقات عمن تعلم ذلك الرجل المستكبر المتعنّد قراءة نظم الفرقان ، ولكن لم يرض هؤلاء المتعندون بتسليم القول الحق ، بل استقروا على الضلال وأصروا على الإلحاد ، فصارت فتنة صاحب تلك الرسالة فى أكثر الأقطار والبلاد ، فافتتن به كثير من المبتلين باختلال الشعور ، وجمع وفير من المحرومين من ملاقاة أستاذ مجود حاذق ، فيقعوا على مذهب باطل مهجور ، ولقد شرد صاحب تلك الرسالة وأعرض عن الهدى وأحجم ، واغتر بكلامه المصابون بداء البلادة والغباوة ، وإن كانوا مغرورين=

ولقد أثارت تلك الدعوة فزع أئمّة القرّاء فى ذلك العصر الذى ظهرت فيه ، فقام نفر غير قليل منهم بتصنيف عدّة كتيبات حاول فيها جهد استطاعته دحض هذه الدعوى ، وإبطال هذا الزعم ، ومن هذه الكتيبات :

ـــ ردّ الإلحاد فى النطق بالضاد للعلامة/ على المنصورى(1) .

= ولكن البادىء هو الأظلم ا. هـ .

كتيب فى الضاد لأحد تلاميذ يوسف أفندى زادة ورقة ١١ ، ١ ب .

(١) هو على بن سليمان بن عبد الله المنصورى ، شيخ القراء بالأستانة توفى بأسكدار سنة ١١٣٤هـ . من كتبه : تحرير الطرق والروايات فى القراءات ، وله ألفية فى النحو ، وحلّ مجملات الطيبة فى القراءات ورد الإلحاد فى النطق بالضاد ـــ الأعلام للزركلى ٤ / ٢٩٢

وجاء فى كتاب عمدة الخلان شرح زبدة العرفان فى القراءات العشر ص ٦ ما نصّه : الإمام النحرير والأستاذ الكبير منبع الفيض المعنوى والصورى الشيخ/ علىّ المنصورى ، رحل ـــ أى من مصر ـــ فى حدود سنة ١٠٨٨هـ ، ثمان وثمانين بعد الألف إلى دار الخلافة العليّة حميت عن الآفات والبلية ، فتحفل لنشر علم القراءة على طريق مصر للطالبين ، فلازم مجلسه جم غفير من الآخذين الراغبين فأقرأهم بكمال الإتقان والتوضيح .. إلى أن قال : وتوفى الشيخ على المنصورى فى اليوم الثالث من المحرم سنة ١١٣٤هـ ، أربع وثلاثين ومائة وألف . ا. هـ .

قال الشيخ عبد الفتاح المرصفى : وهذا العَلَم من رجال إسنادنا فى جميع إجازاتنا للقراءات سبعيّة كانت أو عشريّة ا. هـ انظر هداية القارىء إلى تجويد كلام البارىء للشيخ/ المرصفى ص ٦٨٨ .

قلت : وفى هذا ردّ صريح على من يدّعى اتصال الضاد الظائية سنداً، ورسالة رد الإلحاد مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٢ تفسير تيمور .

ـ الإقتصاد فى النطق بالضاد للشيخ/ عبد الغنى النابلسى[1].

ـ رسالتان للشيخ المدعو بالحاج/ محمود، وهما هداية الطلاب فى النطق بالضاد على سبيل الصواب ـ ورسالة ضاد[1].

ـ رسالة الإمام الشيخ/ محمد الأزميرى[3].

ـ رسالة الضاد وأحكامها للحافظ/ إسماعيل محمد القونوى[4].

ـ رسالة للشيخ/ يوسف أفندى زادة[5].

ـ رسالة لأحد تلاميذ الشيخ يوسف أفندى زادة[6].

---

(١) هو عبد الغنى بن إسماعيل المعروف كأسلافه بالنابلسى (١٠٥٠ هـ ـ ١١٤٣ هـ) عالم بالدين والأدب، مكثر من التصانيف، متصوف، أصله من نابلس بالشام، ولد ونشأ فى دمشق ورحل إلى بغداد وعاد إلى سوريا فتنقل فى فلسطين ولبنان وسافر إلى مصر والحجاز بطلب العلم، وتوفى بالصالحة ببلاد الشام، وكان عالماً جليلاً، لقب بأستاذ الأساتذة من آثاره: التحرير الحاوى بشرح تفسير البيضاوى، وشرح ديوان ابن الفارض، والدلائل على مواضع الأحاديث، انظر ترجمته فى سلك الدرر للمحبى ٣/ ٣٠ ـ ٣٨ ـ ايضاح المكنون ١/ ٨ ـ هدية العارفين ١/ ٩٥٠ ـ ٩٥٤ معجم المؤلفين ٥/ ٢٧١.

ورسالة الإقتصاد فى النطق بالضاد مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٣٠٥ مجاميع تيمور.

(٢) الرسالتان مخطوطتان بدار الكتب المصرية برقم ١١٩ قراءات طلعت.

(٣) هو مصطفى بن عبد الرحمن بن محمد الأزميرى، شيخ فاضل عالم بالقراءات، توفى سنة ١١٦٠ هـ ـ من آثاره: بدائع البرهان فى علوم القرآن ـ وتحرير النشر فى طريق العشر ـ وغيرها. انظر ترجمته فى معجم المؤلفين ٩/ ٣٧.

(٤) تقدمت ترجمته، والرسالة مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٦٠ قراءات طلعت.

(٥) الرسالة مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٥٦ قراءات طلعت.

(٦) مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٢ تفسير تيمور. =

ثم يقول الشيخ الضبّاع رحمه الله :

وفى سنة ١٢٨٠ هـ ــ ثمانين ومائتين وألف من الهجرة ــ وصل إلى الشيخ/ سليمان أفندى البروسوى[1] ــ وكان من نزلاء الأزهر ــ نسخة من كل من « البغية » و« جهد المقل » ، فاغتر

= قال صاحب هذه الرسالة : ولقد ألف كثير من المحققين من المشايخ الحذاق رسائل فى ردّ أقوال تلك الفرقة الضالة المصرة على العتو والشقاق منها رسالة جيدة للشيخ المتقن من بقية الأسلاف ، شارح صحيح البخارى ومؤلف كتاب الائتلاف ، أستاذنا الشيخ المقرى المعروف/ بيوسف أفندى زادة ، زاد الله فى العقبى زاده ، ومنها رسالتان حاويتان لطرق الحق والصواب مع ايضاح ما للعلماء الراسخين فى بيان الضاد الفصيحة من السؤال والجواب ، للشيخ المقرى المجود الأستاذ الكامل/ على المنصورى المدقق ، وقصة مباحثته مع واحد من رؤساء الفتنةالظائية بإقامة الحجج القاطعة وافحامه وإيّاه باثبات الضاد الصحيحة الفصيحة وابطال الضاد الملحونة القبيحة باتيان الأدلة الساطعة ، ثم تأديب ذلك المخالف بالنفى والتغريب بمعرفة الشرع حتى يظهر صدقه فى نكوله عن تلك السقطات ،، مذكورة مبسوطة فى بغض ما للمتأخرين من الطبقات . ا. هـ ورقة ١٢ .

وقال فى هداية الطلاب (ورقة ١ ب) : إن جميع ما يدعونه ومقلدوهم ــ يعنى فى الضاء الظائية ــ ممنوع ومردود كأنفسهم عند العامّة بالبداهة ، وعند المعاندين بالمناظرة وبالرسالتين المنسوبتين إلى الفاضل العلامة شيخ مشايخ القراء والمحدثين بلا شبهة ، أستاذ أستاذنا الشيخ/ على المنصورى عليه رحمة الله الخالق البارى ، وبالرسالة المنسوبة إلى العلامة الكامل الذى لا ينكر فضله عند الأماجد والأماثل الماهر فى جميع الفنون خصوصاً فى وجوه القراءات خارج عن الظنون رئيس مشايخ القراء فى دار السلطنة ، سيما فى العلم الذى لابد أن يعلم ، المشهور بيوسف أفندى زادة ، أسبغ الله عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، وفى تلك الرسائل الثلاث ما فوق ما يكفى للمتحيرّ والمعاند البحّاث ، فليطلبوها ولينظروا حق النظر ، إن كانوا من أهل الإنصاف وليسوا كالبقر . ا. هـ .

(١) يوجد مخطوط بالمكتبة الأزهرية بعنوان «رسالة الشيخ سليمان أفندى فى كيفية أداء=

بهما ، ولخّص منهما رسالة فى الضاد وأخذ فى نشرها حتى قامت فتنة عظيمة فى الأزهر ، فقام الشيخ/ أحمد محمد مقيبل ، واستفتى فى أمره الشيخ/ محمد عليش مفتى السادة المالكية وقتئذ ، فأفتى بضربه وحبسه ، ورفع أمره إلى العلامة الشيخ/ خليفة الصفتى ، وكان شيخاً للمقارىء وأحد وكلاء شيخ الجامع الأزهر ، فاستحضره ومن تبعه واستتابهم ، فتابوا ورجعوا إلى الصواب(١) .

وفى سنة ١٢٩٣هـ ــ ثلاث وتسعين ومائتين وألف من الهجرة ــ قام بمثل ذلك مجاور أزهرى يدعى / محمد على الأسيوطى فرفع أمره العلّامة/ المتولى(٢) شيخ المقارىء وقتئذ إلى الأستاذ الأكبر

= الضاد المعجمة فى تلاوة القرآن » ، ويغلب على ظنى أنها الرسالة المقصودة ، وتاريخ نسخها مقارب للتاريخ الذى ذكره الشيخ الضباع ، فقد كتب فى آخرها : تم نسخه فى يوم الجمعة ١ ربيع آخر سنة ١٣١٤هـ بقلم سليمان على محمود .

والرسالة بالمكتبة الأزهرية برقم (١٨٨) ١٦٢٢٦ قراءات وكذلك بدار الكتب المصرية برقم ١١٥ قراءات طلعت .

(١) رسالة الشيخ الضباع ص ٣ .

(٢) من أعلام القراء فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى ومطلع الرابع عشر . هو محمد بن أحمد بن عبد الله الشهير بالمتولى ، عالم كبير وبحر فى علوم القرآن بلا نظير ، غاية فى التدقيق نهاية فى التحقيق ، كان واسع الحفظ والإطلاع ، شديد الضبط للقراءات المتواترة والشاذة ، ومحيطا بعلوم الرسم والضبط والفواصل ؛ على دراية فائقة بمذاهب القراء والرواة والطرق تلقى القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة ثم من طريق طيبة النشر وكذلك القراءات الأربع الزائدة على العشر على علامة وقته خاتمة المحققين السيد/ أحمد الدرى المالكى الشاذلى المعروف بالتهامى .

واشتغل بالإقراء والتأليف فأجاد وأفاد ، وله زهاء الأربعين مصنفا فى القراءات وغيرها من علوم القرآن كالتجويد والرسم والضبط والفواصل ؛ =

الشيخ/ محمد المهدى العباسى[1] ، فاستحضره واستتابه فلم يتب

= وقد أخذ عن المترجم له القراءات والتجويد عالم كثير وجم غفير يخطئه العد وكلهم علماء أجلاء يشار إليهم بالبنان منهم : الشيخ محمد البنا والشيخ أحمد شلبى والشيخ مصطفى شلبى والشيخ عبد الرحمن الخطيب الشعار والشيخ حسن الجريسى الكبير والشيخ حسن عطية والشيخ محمد المغربى والشيخ عبد الفتاح هنيدى (وهو شيخ العلامة الزيات) والشيخ حسن خلف الحسينى (وهو عم وشيخ العلامة الشيخ محمد على خلف الحسينى المالكى شيخ القراء والإقراء بالديار المصرية الأسبق) والشيخ محمد الحسينى والشيخ محمد الغزالى والشيخ حسن يحى الكتبى المعروف بصهر المتولى والشيخ خليل غنيم الجنايني (وهو شيخ العلامة/ الزيّات أيضا) وغيرهم .

وولى العلامة/ المتولى مشيخة القراء والإقراء بالديار المصرية بعد سلفه العلامة المحقق الشيخ/ خليفة الفشنى فى عام ١٢٩٣ هـ ثلاث وتسعين ومائتين بعد الألف من الهجرة النبوية .

وولد رضى الله عنه سنة ثمان وأربعين وقيل تسع وأربعين ، وقيل خمسين ومائتين بعد الألف من الهجرة بخط ــ بضمّ الخاء ــ الدرب الأحمر بالقاهرة وتوفى رحمه الله تعالى فى ليلة مولد النبى ﷺ سنة ١٣١٣ هـ ــ ثلاث عشرة وثلثمائة وألف من الهجرة النبوية ودفن بالقرافة الكبرى بالقاهرة بالقرب من باب الوداع . انتهى ملخصا من هداية القارى ص ٧٠٨ ــ ٧١١ .

(١) هو محمد المهدى العباسى الحنفى ، ولد بالإسكندرية سنة ١٢٤٣ هـ ، كان ذكياً واعياً ، ودرس على خيرة العلماء ، ووكل إليه منصب الإفتاء سنة ١٢٦٤هـ وهو فى نحو العشرين ثم تولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٨٧ هـ ــ واشتهر بالحزم وحبه العلم وعدم ممالاة الحكام ، وكانت فتاواه دليل ذلك ، وكان أول شيخ للأزهر يقوم بتنظيمات مالية وإدارية وأعاد للأزهر كلّ الأوقاف والمخصصات التى سلبت منه وكان موفقا فى إنفاق الأموال على مستحقيها وصمم على ألّا يقوم بالتدريس فى الأزهر إلّا من تجيزه لجنة من العلماء ، فكان أول من سن (قانون تنظيم الإمتحان) وجعل الإمتحان فى أحد عشر علما من علوم الدين واللغة وهى الأساس الآن للدراسة فى الأزهر .

ومن مؤلفاته رحمه الله تعالى: الفتاوى المهدية فى الوقائع المصرية، ورسالة فى=

فحكم بنفيه(١).

وفى سنة ١٣١٧ هـ ــ سبعة عشر وثلثمائة وألف من الهجرة ــ دعا إلى مثله أيضاً الشيخ/ محمد بيومى المنياوى ، فرفع القراء أمره إلى الأستاذ الأكبر الشيخ/ حسونة النواوى(١) فاستحضره وعقد مجلساً حضره الشيخ/ أحمد الرفاعى شيخ المقارىء الأسبق ونوقش فتاب ورجع إلى ما عليه الجماعة(٣).

وفى سنة ١٣٥٥ هـ ــ خمس وخمسين وثلثمائة وألف من الهجرة ــ دعا إلى مثله أيضاً الشيخ/ عبد الحميد على ، إمام الجامع النورى ، فاستفتى فى أمره الشيخ/ محمد على خلف الحسينى(٤) شيخ المقارىء الأسبق فأفتى بعقابه ، فاستحضر إلى قسم المساجد واستتيب

= مسألة الحرام (على مذهب الحنفية) وتوفى رحمه الله سنة ١٣١٥ هـ .

انتهى ملخصا من كتاب « شيوخ الأزهر ولمحات عن نظامه المعاصر » الصادر من الأزهر الشريف بمناسبة المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية الشريفة ص ٢٧ .

(١) رسالة العلامة الضباع ص ٣ .

(٢) هو حسونة بن عبد الله النواوى ، ولد بقرية (نواى) من أعمال ملّوى محافظة أسيوط سنة ١٢٥٥ هـ . وحفظ القرآن ووفد إلى الأزهر وحضر دروسه على العلماء الكبار ، وعمل أستاذاً بدار العلوم ومدرسة الحقوق ثم عيّن شيخاً للأزهر سنة ١٣١٣ هـ ، وتوفى رحمه الله سنة ١٣٤٣ هـ . وفى عهده صدر قانون شامل باصلاح الأزهر ، نظمت بمقتضاه إدارته وأجهزته ، وفى عهده أيضا تم جمع (مكتبات الأزهر والمساجد الأخرى) فى مكتبة واحدة .. ومن مصنفاته : كتاب « سلم المسترشدين فى أحكام الفقه والدين » و « قانون تنظيم الأزهر ». انتهى ملخصا من كتاب « شيوخ الأزهر ولمحات عن نظامه المعاصر » ص ٢٨ .

(٣) رسالة العلامة الضبّاع ص ٤ .

(٤) هو محمد بن على بن خلف الحسينى المعروف بالحداد مقرىء من فقهاء المالكية بمصر =

فتاب ورجع إلى الصواب(١)

قلت : ومن الذين اغتروا أيضاً بقول المقدسى فى « بغية المرتاد » والمرعشى فى « جهد المقل » كلّ من الشيخ / محمد مكى نصر(٢) فى كتابه « نهاية القول المفيد » كذا الشيخ / على أحمد صبره الغريانى(٣)

=ولد فى بلدة «بنى حسين» بالصعيد وتعلم بالأزهر، ثم عين شيخا للقراء بالديار المصرية سنة ١٣٢٣ هـ .

له كتب منها : « الكواكب الدرية فيما يتعلق بالمصاحف العثمانية » و « إرشاد الإخوان شرح هداية الصبيان » فى التجويد و « القول السديد فى بيان حكم التجويد » و « سعادة الدارين فى عد آى معجز الثقلين » قال الشيخ / المرصفى : وله تأليف غير المذكورة مفيدة وفريدة ، ومن وقف على تآليف المترجم له عرف قدره وكفاءته العلمية ، فهو عالم مقدم فى التجويد والقراءات والعلوم العربية والشرعية ومن أعيان المالكية فى وقته ، أخذ القراءات على عمّه الأستاذ الكبير والعلم الشهير الشيخ / حسن بن خلف الحسينى الذى هو من أبرز تلامذة العلامة المحقق الشيخ / محمد بن أحمد الشهير بالمتولى شيخ القراء وعموم المقارىء بالديار المصرية فى وقته . هذا وقد قرأ على المترجم خلق كثيرون من أبرزهم سماحة العلامة الشيخ / حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية الأسبق وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف . انتهى ملخصا من هداية القارىء ص ٧٤١ ، ٧٤٢ .

(١) رسالة العلامة / الضباع ص ٤ .

(٢) هو محمد مكى نصر الجريسى عالم كبير فى التجويد والقراءات وغيرها ، مصرى وله مؤلّفات يرجع إليها ويعول عليها منها : « نهاية القول المفيد فى علم التجويد » فرغ من تأليفه يوم الثلاثاء الرابع من شهر جمادى الأولى سنة خمس وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة . وهو كتاب مشهور أجاد فيه وأفاد وانتفع به طلاب العلم قاطبة فى أنحاء البلاد الإسلامية. ملخصا من هداية القارى ص ٧٣٥ .

(٣) هو على بن أحمد صبرة الغرياني ، مصرى عالم أزهرى شافعى المذهب ، اشتغل بتدريس التجويد وغيره من العلوم العربية والشرعية فى القسم الأولى ــ الإعدادى حاليا ــ بالأزهر الشريف سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة ، ومن تصانيفه كتاب « العقد=

فى كتابه « العقد الفريد » وكذلك الشيخ/ محمد السباعى عامر[١] رحمه الله تعالى والشيخ/ عامر السيد عثمان ، المدرسان بقسم القراءات بالأزهر الشريف سابقاً ، عفا الله عنهم أجمعين .

ثم يقول الشيخ/ الضبّاع رحمه الله تعالى :

وبالجملة ، من تأمل نصوص أئمة القراءة المصريين ، ومن اتصل بهم من مشارقة ومغاربة ، علم وتحقق أن نطق قراء مصر المتصدرين بها للقراءة والإقراء بالضاد المعجمة مع تمييزها من الظاء المعجمة تمييزاً بيّنا وابعادها عنها ابعاداً كلياً هو الصواب المحقق الذى لا يشك فيه ، وأنه من مخرجها المنصوص عليه ، وأنه سجية فصحاء العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، وهو الذى تلقيناه من شيوخنا وسمعناه من أفواههم وأفواه من أدركناهم من معاصريهم ولا نعلم أحدا منهم خالفه ، ومن قال بخطئه وتصويب غيره فقد قلب الحق باطلاً والباطل حقاً ، وردّ الفصاحة القرآنية إلى لكنة أعجمية ا. هـ[٢] .

=الفريد فى فن التجويد » المعروف بالعقد الفريد الكبير ، وله تلخيص عليه وكلاهما مطبوع ، وقد فرغ من تأليف العقد الفريد صباح الجمعة المبارك الثانى عشر من ربيع الاول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى. هداية القارى ص ٦٨٤ ، ٦٨٥ .

(١) هو محمد السباعى عامر علامة مصرى معاصر ، من خيرة علماء الأزهر الشريف ، وكان سخيا عظيم العناية بطلاب العلم يبذل لهم طعامه وماله ويقوم على رعايتهم وقضاء حوائجهم . وقد لبىّ نداء ربه فى أوائل السنوات الخمس الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجرى ، طيب الله ثراه ورحمه وأرضاه آمين . هداية القارى ملخصا ص ٧١٧ ، ٧١٨ .

(٢) رسالة العلامة الضباع ص ٤ .

قلت : وهذا هو الحق المبين الذى لا ينبغى ردّه ، والذين يتمسّكون بالنطق بالضاد شبيهة بالظاء فى السمع ليس لهم مستند يستندون إليه إلا الكتب والرسائل التى ذكرناها بأسماء مؤلفيها ، وقد علمت الحق فيها وكيف كان موقف العلماء المحققين منهم كالشيخ/ شحاذة اليمنى والشيخ/ على المنصورى ، والشيخ يوسف أفندى زادة والشيخ/ محمد الأزميرى والشيخ/ خليفة الصفتى، والشيخ/ المتولى ، والشيخ/ أحمد الرفاعى والشيخ/ خلف الحسينى ، والشيخ/ الضبّاع والشيخ/ عبد الفتاح القاضى ، والشيخ/ الزيات ، وغيرهم من أقرانهم وتلامذتهم الذين تتصل أسانيد المصريين وغيرهم من خلالهم ، فمن زعم أن نطقه بالضاد المشتبهة بالظاء فى السمع قد تلقاها بالإسناد المتصل إلى رسول الله ﷺ ، قلنا له : من أين لك هذا الإسناد المتصل المزعوم وفيه واحد أو أكثر من هؤلاء الأئمة الذين تصدّوا هم وعلماء وقتهم لمن تفرد بهذه الضاد المذكورة فى عصرهم ، فإسنادك مقطوع لا محالة لأن فيه من لم يقرأ بضادك ، بل جاهد فى ابطالها وردع من قال بها .

قال العلّامة على المنصورى : إن الذى قرأنا به وأخذناه وشافهنا به شيوخنا الأمجاد هو النطق بالضاد الخالصة كما هو بين الخاصة معتاد لا يشك فى ذلك أحد ولا يرتاب ، ويعدّون مخالفه لاحنا مخالفا للصواب ، كالشيخ/ سلطان بن أحمد المزّاحى(١) مقرىء عصره بلا

---

(١) هو سلطان بن أحمد بن سلامة بن إسماعيل المزّاحى ــ بفتح الميم وتشديد الزاى ــ نسبة إلى مزاح قرية مصرية ــ المصرى الشافعى الأزهرى ، كان شيخ الإقراء بالقاهرة وبها توفى وله كتب منها : « القراءات الأربع الزائدة على العشر » ، و « رسالة فى التجويد » =

الألباب والشيخ / على بن نور الدين على الشَّبْرَامُلُّسى المفسّر المقرىء المحدّث الشائع فضله عند أولى الألباب ، والشيخ/ محمد البقرى(١) فائق أقرانه وخاتمة قرّاء زمانه ولىّ الله ذو الجد والإجتهاد ، وغيرهم ممن استفاد وأفاد ، وعمّ نفعه وفضله جميع الأقطار والبلاد ﴿ فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ ولا تجوز نسبة هؤلاء الأئمة هداة الأمّة إلى الغلط ولا إلى الشطط لقوله تعالى: ﴿ إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾ ا. هـ (٢)

= و « الجوهر المصون فى الأوجه مابين الضحى إلى المفلحون » و « وحاشية على شرح المنهج للقاضى زكريا الأنصارى » فى فروع الفقه الشافعى » ولد سنة خمس وثمانين وتسعمائة للهجرة سنة خمس وسبعين وألف هجرية رحمه الله تعالى قال الشيخ المرصفى فى هداية القارىء ص ٦٥٦ : وهذا العلم من رجال اسنادنا فى جميع إجازاتنا للقراءات .

قلت: وهذا أيضا رد صريح على من يدعى اتصال الضاد الظائية سندا .

(١) هو أبو عبد الله شيخ المقرئين محمد بن قاسم بن إسماعيل البقرى الشافعى الأزهرى الصوفى الشناوى شيخ المحدثين والفقهاء والزاهدين فى زمانه . ولد سنة ١٠١٨ هـ ألف وثمانى عشرة للهجرة وتوفى سنة ١١١١ هـ ألف ومائة وإحدى عشرة للهجرة. أخذ علم القراءات عن العلامة الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ شحاذة اليمنى المتوفى سنة ١٠٥٠ هـ ألف وخمسين من الهجرة وقرأ عليه عدد من العلماء لا يحصى كما قرأ عليه غالب علماء مصر وله مؤلفات عديدة . قال الشيخ المرصفى فى هداية القارى ص ٧٢٧ وهذا العَلَم من رجال إسنادنا فى جميع إجازاتنا للقراءات وكذلك بعض مشايخه المذكورين فى الترجمة وهم الشيخ/ عبد الرحمن اليمنى ووالده الشيخ/ شحاذة اليمنى والشيخ/ سلطان المزّاحى كل هؤلاء من رجال اسنادنا فى جميع اجازاتنا للقراءات. ا. هـ . قلت: وهذا ردّ آخر على من يدعى اتصال الضاد الظائية سندا .

(٢) رد الإلحاد فى النطق بالضاد ورقة ١ .

وقال الشيخ/ محمد الأزميرى :

فسند الظائيين (يعنى ساجقلى زادة ومن تابعه) ينتهى إلى ساجقلى زادة فينقطع عنده ، كما اعترف بذلك كثير من الظائيين حيث قالوا : إن ساجقلى زادة طالع كتب التجويد فأحدث تلك الدعوة(١) .

وعن على المقدسى ومن تابعه يقول الحافظ/ القونوى :

وغاية سندهم على المقدسى(٢)

وقال الشيخ/ الأزميرى :

وكذا سمعت من العلماء الذين نثق بهم ومن جملتهم أحمد أفندى الشهير بباشا يكانى حين قال متحيراً : إن حروف القرآن لابد أن تكون متواترة ، وضاد المرعشيين مخالف للتواتر . فقلت : كيف هذا ؟ قال : كنت متحيرًا فى الأمر ، فسألت حسن أفندى المرعشى — وهو شيخ ساجقلى زادة — عن هذه الضاد فقلت : هل أخذت من مشايخك هذه الضاد الشبيهة بالظاء فى السمع ؟ قال : لا ، ولكن حوّلنى ساجقلى زادة بأن قال : يقتضى ما كتبوا أن تكون شبيهة بالظاء فى السمع ، فعلّم الناس ذلك ، فعلّمت ونشرت.

---

(١) وقال أيضاً : وضادهم غير متسلسل .. يعنى غير متصله الإسناد — ومخالف للتواتر والتواتر حجة قطعية . ا. هـ .

رسالة الأزميرى فى الرد على المرعشى ورقة ١٨ . ١٣ .

(٢) الضاد وأحكامها للقونوى ورقة ١٩ ورسالة الماجستير ص ٢٣٩ .

. هـ(١)

ولقد أجمع أئمّة القراءة على أن الإسناد ركن هام من أركان صحة القراءة وهو شرط أساسيّ فيها . قال ابن الجزرى(٢) : الإسناد الصحيح هو الأصل الأعظم والركن الأقوم(٣) .

وقال أئمة القراءة : لا تعملوا فى شيء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة أو الأقيس للعربية ، بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل والرواية ، وإذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها(٤)

---

(١) قال الأزميرى : ومن العجيب أن التلميذ حوّل شيخه عما أخذه عن مشايخه ، هذا هو الواقع فى نفس الأمر ، والمنكر إما معاند أو جاهل لما وقع ، كيف لا وقد قال ساجقلى زادة فى حاشية جهد المقل له : إنى أخذت عن حسن أفندى القلعوى وهو عن مشايخ مصر.أقول: تيقنّا أن مشايخ مصر بريئون من تلفّظ الضاد الشبيهة بالظاء فى السمع على ما تواترت به الأخبار ا. هـ. رسالة الأزميرى ورقة ١٨ ، ٨ب ورسالة الماجستير ص ٢٣٩ .

(٢) هو الحافظ المقرىء شيخ الإقراء فى زمانه شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف الدمشقى الشافعى ولد سنة إحدى وخمسين وسبعمائة هجرية وسمع من أصحاب الفخر بن البخارى ، وبرع فى القراءات ، وكان إماما فى القراءات لا نظير له فى عصره فى الدنيا حافظا للحديث .. ألّف النشر فى القراءات العشر لم يصنّف مثله ، وله أشياء أخر وتخاريج فى الحديث وعمل جيد ، وصفه الحافظ ابن حجر بالحفظ فى مواضع عديدة من الدّرر الكامنة . مات سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة من الهجرة انتهى مختصرا من ص (٥٤٣ ــ ٥٤٤) تسلسل رقم (١١٨٥) باسم « ابن الجزرى » من كتاب طبقات الحفاظ للحافظ جلال الدين السيوطى. ط ــ القاهرة ١٩٧٣ م .

(٣) النشر فى القراءات العشر ــ ابن الجزرى ١ / ١٠ .

(٤) النشر فى القراءات العشر ــ ابن الجزرى ١ /٢٨ ، ٤٠ ورسالة الماجستير ص ٢٣٩ .

ويبدو أن هذه الدعوى نشأت عن اعتقادهم أن النطق الصحيح بأصوات القرآن يكتسب ويوقف عليه بالتأمل في تراث العلماء السابقين بدون مشافهة الشيخ المجيد، فقد جاء عنهم ما نصّه: لمّا طالت سلسلة الأداء تخلّل أشياء من التحريفات في أداء أكثر الشيوخ، والشيخ الماهر الجامع بين الرواية والدراية المتفطن لدقائق الخلل أعزّ من الكبريت الأحمر، فوجب علينا ألاّ نعتمد على أداء شيوخنا كلّ الاعتماد، بل نتأمل فيما أودعه العلماء في الكتب، فما وافقه فهو الحق، وما خالفه فالحق ما في الكتب[1]. وعنهم أيضاً: والشيخ المقرى للنظم الكريم المنزّل بالتجويد لا يجوز له الإكتفاء بتلقين شيخه، بل يجب عليه طلب معرفة صفات الحروف من الكتب المبسوطة، كالرعاية لمكّي[2]، والتمهيد لابن الجزري فلعلّه أو

---

(١) حاشية على جهد المقل لساجقلي زادة ورقة ٣ ب.

قال العلامة/ الأزميري: إن المشايخ المسلسلين ـــ صانهم الله تعالى عن التحريفات ـــ اتفقوا كلهم على أداء ضاد قوية غير شبيهة بالظاء في السمع، وهذا الأداء يوافق ما أودعوه في كتبهم كما أسلفنا، فوجب المصير إلى ما اتفقوا، ولا نعتمد على قول من نظر إلى الكتب وعمل بالرأي والقياس بلا سلسلة صحيحة، أيها الإخوان: الحذر الحذر، ولا تلتفتوا إلى قول من نظر الكتب وعمل بالقياس بلا سلسلة صحيحة ا. هـ.

(٢) هو مكي بن أبي طالب بن حيوس بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي، إمام علامة محقق عارف، أستاذ القراءة والمجودين ولد سنة خمسين وثلاثمائة بالقيروان، وحجّ فسمع بمكة من أحمد بن فراس وأبي القاسم عبد الله السقطي، وبالقيروان من أبي محمد بن أبي زيد وأبي الحسن القابسي. قرأ القراءات بمصر على أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون وابنه طاهر، وقراءة ورش على أبي عدى عبد العزيز، وسمع من أبي بكر بن على الأذفوى.

قال ابن الجزري: ومن تآليفه التبصرة والكشف عليها وتفسيره الجليل ومشكل

شيخه قد وهم فى بعض الحروف فحرّفها(١) .

ويبدو أن هذا الإعتقاد كان سلّماً إلى ملتمسهم والذى على أساسه قامت دعواهم هذه ، وهذا ما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه .

فقد نصّ سيبويه على أن الحروف لا تتبيّن إلاّ بالمشافهة(٢) ، ونصّ ابن الجزرى على أن الإعتماد فى نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور(٣) ، وقال القاضى الباقلانى : قال قوم من المتكلّمين إنه يسوغ إعمال الرأى والإجتهاد فى إثبات القراءة — أوجه وأحرف — إذا كانت تلك الأوجه صواباً فى العربية ، وإن لم يثبت أن النبى ﷺ قرأ بها ، وأبى ذلك أهل الحق وأنكروه وخطأوا من قال به(٤) . وقال ابن مفلح القلقيلى: القراءة سنّة متداولة ، لا قياس ولا نظر(٥) .

وقال الشيخ/ المارغنى: لا مدخل للقياس فى القراءة وإنّما مدارها على ثبوت الرواية والنقل المتواتر ولا مجال للرأى فيها ، ومن عبّر من أئمة هذا الفن بالقياس فمراده به حمل الجزءى على نظيره

= إعراب القرآن والرعاية فى التجويد والموجز فى القراءات وتواليفه تنيف عن ثمانين تأليفا . مات فى ثانى المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة . انتهى مختصرا من غاية النهاية لابن الجزرى ٢/٣٠٩، ٣١٠ .

(١) السيف المسلول ورقة ١٢ ب . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١١٥ قراءات طلعت .

(٢) الكتاب — لسيبويه ٢/٤٠٤ .

(٣) النشر — لابن الجزرى ١/٦ .

(٤) الإتقان — للسيوطى ١/٧٨ .

(٥) غنية المريد ورقة ٥١ ب .

الممثل به للكلى بعد ثبوت الرواية باطراد ذلك الكلّى فى جميع جزئياته وليس مراده به مجرد القياس من غير ثبوت الرواية[١] ا. هـ .

فكما ترى أن عامّة الكتب ناطقة بأن الأداء لا يعرف من مجرد الكتب ويتوقف على السماع[٢]، ومن فم أستاذ محسن له سند مشافهة ويتصل إلى أحد المشاهير من حذاق العلوم القرآنية[٣]، وأن ليس كلّ ما جاز فى قياس العربية تسوغ التلاوة به حتى ينضم إلى ذلك الأثر المستفيض بقراءة السلف له وأخذهم به[٤]، لأن القراة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها[٥].

* * *

(١) النجوم الطوالع ــ المارغنى ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٢) الضاد وأحكامها للحافظ القونوى ورقة ١٧ بـ.

(٣) الإقتصاد فى النطق بالضاد ــ للشيخ/ عبد الغنى النابلسى ورقة ٢ب مخطوط بدار الكتب المصرية ــ رقم ٣٠٥ مجاميع تيمور .

(٤) الحجة فى القراءات السبع ــ لأبى على الفارسى ١/ ٢٩ .

(٥) النشر ــ لابن الجزرى ١/ ١١ ، ٤٠ ورسالة الماجستير ص ٢٤١ .

الفصل الثانى

بيان أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر

بيان أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر وأنه مذهب الجمهور ، وأن من لم يشترط التواتر اشترط الإستفاضة والشهرة ، وأن القرآن لا يثبت برواية الآحاد حتى وإن اتصل اسنادها ، وأقوال العلماء فى ذلك .

أولاً : تعريف التواتر :

التواتر — كما عرّفه علماء الأصول — اتفاق طائفة على أمر تحيل العادة تواطؤهم على الكذب ، أو وقوع الكذب منهم صدفة واتفاقا .

فالمتواتر من الأخبار ما يرويه جماعة تحيل العادة تواطؤهم وتوافقهم على الكذب أو وقوع الكذب منهم صدفة واتفاقاً عن جماعة كذلك من مبدأ السند إلى منتهاه ، ويكون مستند الطبقة الأخيرة منه الحسّ من مشاهدة أو سماع ، فلا يتحقق التواتر إلا إذا وجد العدد الموصوف بما ذكر فى كل الطبقات من بدء السند إلى نهايته ، فلو فقد هذا العدد فى طبقة من طبقات السند انتفى التواتر ، والمتواتر يفيد العلم لسامعه(١) .

---

(١) أبحاث فى قراءات القرآن الكريم — عبد الفتاح القاضى ٢٤ — التعريفات للجرجانى ٧٤ .

ثانياً : تعريف القرآن الكريم :

قال الغزالى رحمه الله تعالى : القرآن هو ما نقل إلينا بين دفتى المصحف تواترا ا. ه[1] .

وقال البزدوى فى أصوله : الكتاب هو القرآن المنزل على رسول الله ﷺ ، والمنقول عن النبى ﷺ نقلاً متواتراً . ا. ه .

واحترز بقوله : نقلاً متواتراً ، عمّا اختص بمثل مصحف أُبَىّ وابن مسعود ممّا نقل بطريق الآحاد[2] .

وقال العلّامة أبو شامة فى شرح الشاطبية : القرآن كلام الله ، منقول نقل التواتر عن رسول الله ﷺ الذى أنزل إليه ، لم يزل فى كل حين وجيل ينقله خلق لا يحصى[3]. ا. ه .

وقال الحافظ السيوطى فى الإتقان : إنّ كلّ ما هو من القرآن يجب أن يكون متواتراً فى أصله وأجزائه[4] . ا. ه .

ثالثاً : القراءة المقبولة والقراءة المردودة :

يقول الشيخ/ القاضى فى كتاب القراءات الشاذة : ذكر علماء القراءات قاعدة تعرف بها القراءات المقبولة وتميز بها عن غيرها من

---

(١) شرح منتهى ابن الحاجب ٢/١٩ ــ الأحكام للآمدى ١/٢٢٨ .

(٢) كشف الأسرار شرح أصول البزدوى ١/٢١ .

(٣) إبراز المعانى ٢ .

(٤) الإتقان ١/١٧٧ .

القراءات الشاذّة المردودة ، وهذه القاعدة هى : كل قراءة وافقت اللغة العربية ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية وثبتت بطريق التواتر .

ثم قال : كلّ قراءة جتمعت فيها هذه الأركان الثلاثة : موافقة اللغة العربية ، وموافقة أحد المصاحف ، وثبوتها بطرق التواتر، هى القراءة التى يجب قبولها ولا يحل جحدها وإنكارها وهى من جملة الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن الكريم ، ومتى لم تتحقق هذه الأركان كلّها أو بعضها فى قراءة فهى قراءة شاذّة مردودة .

ثم قال : وينبغى أن يعلم أن أهم هذه الأركان هو الركن الثالث (يعنى التواتر) والركنين الأولين لا زمان له ، إذ متى تحقق تواتر القراءة لزم أن تكون موافقة للغة العربية ولأحد المصاحف العثمانية ، فالعمدة هو التواتر[1] ا. هـ .

ثم قال فى موضع آخر : هذا وقد جنح الشيخ مكىّ بن أبى طالب وتبعه المحقق ابن الجزرى إلى الإكتفاء بصحة السند وجعلاه مكان التواتر ، قال الإمام النويرى فى شرح الطيبة : وهذا قول حادث مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم لأن القرآن عند الجمهور من أئمة المذاهب الأربعة منهم الغزالى وصدر الشريعة وموفّق الدين المقدسى وغيرهم هو ما نقل بين دفّتى المصحف نقلاً متواتراً ، فالتواتر جزء من الحدّ فلا تتصور ماهية القرآن إلا به ــ انتهى كلام النويرى .

---

(١) القراءات الشاذة ــ عبد الفتاح القاضى ٤ .

وعلى هذا لابد من حصول التواتر عند أئمة المذاهب الأربعة لم يخالف منهم أحد فيما علمت بعد الفحص الزائد وصرّح به جماعة لا يحصون منهم ابن عبد البرّ وابن عطيّة وابن تيمية والنّووىّ والأذرعىّ والسبكىّ والزّركشىّ وابن الحاجب وغيرهم ، وأما القرّاء فأجمعوا أوّل الزمان على ذلك ، وكذلك فى آخره ، ولم يخالف من المتأخرين إلاّ أبو محمد مكىّ وتبعه بعض المتأخرين .

ومن كلام علماء القراءات الدال على اشتراط التواتر ما صرّح به الإمام الجعبرى فى شرح الشاطبية حيث يقول : ضابط كلّ قراءة تواتر نقلها ووافقت العربية مطلقا ورسم المصحف ولو تقديراً فهى من الأحرف السبعة وما لم يجتمع فيه ذلك فشاذ ا. هـ.[1] ببعض تصرف .

ويؤخذ من هذه النقول أن القرآن لا يثبت إلا بطريق التواتر ، وأن التواتر لم يتحقق إلا فى القراءات العشرة وعلى هذا فكلّ قراءة وراء العشرة لا يحكم بقرآنيتها بل هى قراءة شاذّة لا تجوز القراءة بها لا فى الصلاة ولا خارجها .

قال الشيخ/ محيى الدين النووى: ولا تجوز القراءة فى الصلاة ولا فى غيرها بالقراءات الشاذّة ، وليست قرآنا ، لأن القرآن لا يثبت إلاّ بالتواتر ، وأما الشاذّة فليست متواترة ، فلو خالف وقرأ بالشاذّ أنكر عليه ، سواء قرأ بها فى الصلاة أو غيرها ، هذا هو الصواب

(١) القراءات الشاذة ــ عبد الفتاح القاضى ٥ ، ٦ ــ اتحاف فضلاء البشر ــ البنا الدمياطى ٦ .

الذى لا معدل عنه ، ومن قال غيره فهو غالط أو جاهل ا. هـ .

وقد نقل ابن عبد البرّ إجماع المسلمين على أنه لاتجوز القراءة بالشاذّ وأنه لايصلّى خلف من قرأ بها .

وقال ابن الصلاح : وهو ممنوع من القراءة بما زاد على العشرة منع تحريم لا منع كراهة فى الصلاة وخارجها ، وكذلك صرّح ابن الحاجب وابن السبكى بتحريم القراءة بالشاذ ، واستفتى الإمام الحافظ ابن حجر العسقلانى عن حكم القراءة بالشاذّ ، فقال : تحرم القراءة بالشاذ وفى الصلاة أشدّ ولا نعرف خلافا بين أئمة الشافعية فى تفسير الشاذّ أنه ما زاد على العشر ، بل منهم من ضيّق فقال : ما زاد على السبع[1] ا. هـ .

ويقول الدكتور لبيب السعيد فى كتابه القيم : « الجمع الصوتى الأول للقرآن » : والنقل المتواتر هو عند الأصوليين وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدّثين والقرّاء — عنصر أساسى فى اثبات القرآنية ، حتى ليعرّف الكتاب بأنه القرآن المنزّل على رسول الله المنقول إلينا نقلاً متواتراً بلا شبهة . ثم قال : ويتجوّز ابن الجزرى فلا يشترط — لصحة القراءة — غير موافقتها لوجه من وجوه العربية ولرسم المصاحف ، وغير أن تكون صحيحة الإسناد ، ويقول فى طيّبته ونشره :

فكلّ ما وافق وجه نحو   وكان للرّسم احتمالا يحوى
واتصل اسناداً هو القرآن   فهذه الثلاثة الأركان

---

(١) القراءات الشاذة — عبد الفتاح القاضى ٦ ، ٧ .

ولكنّ الصفاقسي يعيب هذا الرأى ويقول عنه: هذا قول محدث لا يعوّل عليه ويؤدى إلى تسوية غير القرآن بالقرآن[١]. ا. هـ.

إلا ابن الجزرى رحمه الله يذكر فى منجد المقرئين ما نصه: كلّ قراءة وافقت العربية مطلقا ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً، وتواتر نقلها هذه هى القراءة المتواترة المقطوع بها. ثم قال: وأمّا القراءة الصحيحة فعلى قسمين (الأول): ما صح سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط وهكذا إلى نهاية السند ووافق العربية والرّسم، وهذا على ضربين (ضرب) استفاض نقله واشتهر بين القرّاء ذكره، وتلقّاه الأئمّة بالقبول، كما انفرد به بعض القرّاء العشرة أو راو من رواتهم وكمقادير المدود واختلاف مراتبها وأوجه حمزة وهشام على الهمز والأوجه الجائزة على العارض فهذا صحيح مقطوع به أنه منزّل على النبى ﷺ ومن جملة الأحرف السبعة وهو يفيد العلم، وهذا الضرب يلحق بالقراءة المتواترة وإن لم يبلغ مبلغها. و(ضرب) لم يشتهر بالإستفاضة والذيوع، ولم تتلقه الأئمة بالقبول، فهذا شاذ تمنع القراءة به منع تحريم فى الصلاة وغيرها[٢].

قلت: فيؤخذ من كلام ابن الجزرى رحمه الله تعالى أنه اشترط لقبول القراءة الصحيحة الإسناد أن تكون مشتهرة ومستفيضة فتلحق حينئذ بالمتواترة.

---

(١) غيث النفع ـــ الصفاقسى ٦، ٧ ـــ الجمع الصوتى د. لبيب السعيد ١٣٢.

(٢) أبحاث فى قراءات القرآن الكريم ـــ عبد الفتاح القاضى ٢٦، ٢٧.

لذا يقول الشيخ/ القاضى : والحاصل أن القراءة إن خالفت العربية أو الرسم فهي مردودة إجماعاً ولو كانت منقولة عن ثقة ، وإن كان ذلك بعيداً جداً بل لا يكاد يوجد ، وإن وافقت العربية والرسم ونقلت بالتواتر فهى مقبولة إجماعاً ، وإن وافقت العربية والرسم ونقلت عن الثقات بطريق الآحاد فقد اختلف فيها ، فذهب الجمهور إلى ردّها وعدم جواز القراءة بها فى الصلاة وغيرها سواء اشتهرت واستفاضت أم لا ، وذهب مكى بن أبى طالب وابن الجزرى إلى قبولها وصحة القراءة بها بشرط اشتهارها واستفاضتها ، أما إذا لم تبلغ حدّ الإشتهار والإستفاضة فالظاهر المنع من القراءة بها إجماعاً ، ومن هنا يعلم أن الشاذّ عند الجمهور ما لم يثبت بطريق التواتر وعند مكّى ومن وافقه ما خالف الرسم والعربية ولو كان منقولاً عن الثقات أو ما وافق الرسم والعربية ونقله غير ثقة أو نقله ثقة ولكن لم يتلقّ بالقبول ولم يبلغ درجة الإستفاضة والشهرة[1] . ا . هـ .

وهنا ينبغى لنا أن نقول : إن القراءة بهذه الضاد (أعنى التى تشبه الظاء فى السمع) لا تثبت لها قرآنية لاختلال أهم الأركان فيها وهو التواتر ، أو الشهرة والإستفاضة عند من لم يشترط التواتر ، لأنها رواية آحاد ، والقرآن لا يؤخذ برواية الآحاد ، خاصّة وقد علمت أن إسنادهم فيها لابد منقطع ، وأن سلفهم الذين قرأوا بها كانوا محلّ تعزير وعقاب من علماء عصرهم ، فروايتهم بها غير متصلة الإسناد فهى مردودة إجماعاً ، ولو سلّمنا جدلاً أنها متصلة الإسناد فحينئذ لا

(١) القراءات الشاذة ــ عبد الفتاح القاضى ٧ .

تتعدى كونها رواية آحاد ، ورواية الآحاد شاذة كما علمت ، فهى مردودة أيضاً إجماعاً .. فأين المفرّ ..

فإن قال قائل : إن كلّ ما ذكرته فى هذا الفصل وأطلت فى الكلام عليه إنما هو خاص بالقراءات ولا دخل له بحرف الضاد .

قلت : بل يشتمل على الضاد أيضا ، لأنه حرف من كتاب الله تعالى وإثبات كيفية النطق به لايقل أهمية عن اثبات أى حكم من أحكام التلاوة أو أى وجه من أوجه القراءة عند القراء ، كما يقول السيوطى : إن كلّ ما هو من القرآن يجب أن يكون متواتراً فى أصله وأجزائه[1] .

وكما يقول الحافظ/ إسماعيل القونوى :

إن المخالفين لنا ادّعوا أن ما هو بعض من القرآن وحرف منه الضاد الظائية لا الضاد المشهورة ، ونحن معاشر أرباب التواتر نحكم بأن ما هو حرف من القرآن وبعض منه الضاد المتواترة لا الضاد المستحدثة فإنها ليست من حروف العربية فضلاً عن حروف القرآن[2] .

فالضاد حرف من القرآن ولا نقبل فيه نطقا إلّا إذا كان هذا النطق قد تواتر واستفاض ونقلته مئات الألسنة وسمعته مئات الآذان ، أمّا ما ينطق به لسان أو لسانان فلا حجّية له علينا وهو مردود على صاحبه ، ولو لم يكن هناك دليل على بطلان الضاد الشبيهة بالظاء فى

---

(١) الإتقان ١/١٧٧ .

(٢) الضاد وأحكامها ورقة ١٨ ، ٨ب ــ وانظر رسالة الماجستير ص ٢٣٩ .

السمع إلّا أنها لم تتواتر (فضلاً عن كونها غير متصلة الإسناد) لكفى بذلك دليل ، فإن القرآن ــ كما قال النويرى ــ لا تتصور ما هيته إلّا بالتواتر .

قال العلامة الضبّاع فى شرحه على الشاطبية تعليقاً على ما ذكره الشاطبى رحمه الله من أن كلمة (نأى) من قوله تعالى : ﴿ **نأى بجانبه** ﴾ فى الإسراء وفصّلت يقرأ السوسىّ بإمالة الهمزة فيهما باختلاف عنه (يعنى أنّ له الإمالة وعدمها) فقال : والخلاف الذى ذكره الناظم (يعنى الشاطبى) فى إمالة الهمزة فيهما للسوسىّ لا يُقرأ به كما نبّه عليه المحقق ابن الجزرى فى نشره لأنه انفرد بها فارس بن أحمد شيخ الدانى وتبعه الدانى والناظم على ذلك ولا يخفى أنّ كلّ ما انفرد به بعض النقلة لا يقرأ به لعدم تواتره ، وجميع الرواة عن السوسىّ من جميع الطرق على الفتح لا يعلم بينهم فى ذلك خلاف[1] . أ . هـ بلفظه .

فانظر رحمك الله كيف ردَّت رواية هؤلاء الأعلام وأعنى بهم أبا الفتح فارس وما أدراك ما أبو الفتح فارس ، قال الذهبى : فارس بن أحمد بن موسى بن عمران أبو الفتح الحمصى ،

المقرى الضرير مؤلف كتاب المنشأ فى القراءات الثمان وأحد الحذّاق بهذا الشأن[2] ، وقال ابن الجزرى فى غايته : أبو الفتح الحمصى الضرير نزيل مصر الأستاذ الكبير الضابط الثقة . أ . هـ .

---

(١) إرشاد المريد ــ الضباع ١٠٣ .

(٢) معرفة القراء الكبار ــ الذهبى ١ / ٣٠٤ .

وقال فى موضع آخر : كان حافظاً حسن التأدية فهماً بعلم صناعته واتساع روايته مع ظهور نسكه وفضله وصدق لهجته توفى بمصر عام إحدى وأربعمائة رحمه الله[1] أ . هـ .

وأبا عمرو الدّانى وما أدراك ما أبو عمرو الدّانى ، قال الذهبى : قال أبو الفتح : لم ألق مثله فى حفظه وضبطه[2] أ . هـ . وقال أيضاً : قال ابن بشكوال : كان أبو عمرو أحد الأئمة فى علم القرآن رواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعرابه وجمع فى ذلك كلّه تآليفا حساناً مفيدة يطول تعدادها أ . هـ[3] .

والشاطبى وما أدرك ما الشاطبى وتكفيه شاطبيته وإجماع الناس على ما فيها لتكون شاهداً على علمه وشرفه ويكفيه أن نظمه البديع هذا كان سبباً فى حفظ القراءات السبع إلى يومنا هذا .

وأعود فأقول :انظر ــ رعاك الله ــ كيف ردت رواية هؤلاء الأعلام الأثبات فى العلم المشهود لهم بالفضل لمجرد كونها رواية آحاد والقرآن لا يثبت إلّا بالتواتر ولا عجب أن تردّ روايتهم فى هذه الحالة فقد رُدَّت روايات من هم أعلى منهم شأناً ومنزلة وعلماً كعبد الله بن مسعود وأبى بن كعب ومعلوم من هما ، وما ذلك إلا لعدم تكامل أركان القرآن فى بعض ما قرآ به رضى الله عنهما . وهذا أيضاً لا عجب فيه لأنه من باب الذود والدفاع عن كتاب الله تبارك وتعالى

(١) غاية النهاية فى طبقات القراء ــ ابن الجزرى ــ ٦٢٥ .
(٢) معرفة القراء الكبار ــ الذهبى ١ / ١٠٤ .
(٣) المرجع السابق ٣٢٧ .

أن يُدخل فيه ما ليس منه فعلماء المسلمين لا يعنيهم أسماء من وردت عنهم القراءة ولا يهولهم كونهم جبالاً فى العلم أو الدراية ، وإنما الذى يعنيهم أن يحموا حمى القرآن الكريم فلا يثبتون لقراءة صفة القرآنية إلا إذا أطبقت الأمة عليها واجتمع العدد الوفيرعلى أنها تليت من لدن محمد سيدنا ونبينا ﷺ إلى أن وصلتنا كيوم أنزلت ليس فيها تبديل ولا تحريف ولا خلط ، وما ذلك إلا بالشروط القوية التى اشترطها العلماء ــ جزاهم الله خير الجزاء ــ لإثبات القرآنية أو نفيها ولولا ذلك لقال من شاء ما شاء ولا دَّعى كل من استحسن شيئاً أن هذا من القرآن ولوقع التحريف فى الكتاب العزيز كما وقع فى غيره من الكتب .

فإذا كانت رواية الأئمة الجهابذة قد ردّت دفاعاً عن القرآن وصيانة له من أن يقال فيه برواية الآحاد فلأن تردَّ رواية من هم دونهم ممن يقولون فى القرآن بقول الآحاد أولى ، وإلا فإن روايتهم كما علمت لم يتصل اسنادها فهى واجبة الردّ .

وأعود فأكرر : أنه لو لم يكن هناك دليل على بطلان القراءة بالضاد المذكورة إلا كونها لم تتواتر وكونها مخالفة لما أجمع عليه القراء المعتد بهم لكفى ذلك دليل ، ولكنّا بعون الله شارعون فى تتبع هذه الضاد من كل جوانبها وفى الردّ على كل الشبهات التى قد يحتج بها البعض حتى لا ندع مجالاً لشكّ ولا حجّة لمجادل ، والله تعالى المستعان .

* * *

الفصل الثالث

نبذة مختصرة عن حرف الضاد ومخرجه وصفاته المجمع عليها

أولاً : معنى المخرج :

المخرج لغة: اسم لمكان خروج الشيء ، أيّا كان ذلك الشيء .

واصطلاحا: المكان الذى يخرج منه الحرف ويبرز ويتميز .
وقيل: هو الحيِّز المولِّد للحرف بواسطة انحباس الصوت فيه تحقيقاً أو تقديراً ، فحيث انحبس الصوت بالفعل فهو المحقّق وحيث أمكن انقطاع الصوت عنده فهو المقدّر[١] .

ثانياً: معنى الحرف :

الحرف لغة: الطرف فى أى شىء ، يقال: هذا حرف كذا أى طرفه .

واصطلاحاً: الصوت المعتمد على مخرج محقق أو مقدر .

والمحقق ما كان له اعتماد على جزء معين من أجزاء الحلق ، واللسان والشفتين ، وهى حروف الحلق والفم والشفتين ، والمقدر مالم يكن له اعتماد على شىء من ذلك ، وهى حروف الجوف الثلاثة ، فإنّها لم تعتمد على أجزاء الفم بحيث ينقطع فى جزء معيّن من أجزائه بل هى قائمة بهواء الفم ، ولذلك تقبل النقص والزيادة[٢] .

(١) أحكام قراءة القران ــ الحصرى ٣٥ .
(٢) الكتاب السابق ٣١ ، ٣٢ .

واعلم أنّ كلّ حرف مساو لمخرجه لا يتجاوزه ولا يتقاصر عنه . ماعدا حروف المدّ الثلاثة فإنّها دون مخرجها ، ولذلك قبلت الزيادة على مقدار المدّ الطبيعى(١) .

ثالثاً : تعريف الصفة :

الصفة لغة : ما يقوم بغيره كالعلم والجهل والفرح والحزن والجزع وما إلى ذلك من الصفات التى تقوم بالإنسان ، وكالسواد والبياض والزرقة والإصفرار إلى غير ذلك من الصفات التى تقوم بالإنسان وغيره فلا فرق فى الصفة بين أن تكون معنوية أو حسية ..

وفى الإصطلاح : كيفية يوصف بها الحرف عند حلوله فى مخرجه وتوجب مراعاتها تحسين النطق بالحرف كالهمس والجهر والإستعلاء والإستفال وغير ذلك وبهذه الصفات تتميز الحروف المشتركة فى المخرج بعضها من بعض(٢) .

رابعاً : تحديد مخرج الضاد المعجمة :

تخرج الضاد المعجمة من أول إحدى حافّتى اللسان ــ أى جانبية ــ بعد مخرج الياء وقبل مخرج اللام ، مستطيلة إلى أول مخرج اللام ، مع ما يلى الضاد من الأضراس العليا ، وأوّل الحافّة مما يلى الحلق ما يحاذى وسط اللسان بعد مخرج الياء وآخرها ما يحاذى آخر

---

(١) أحكام قراءة القرآن ــ الحصرى ٣٩ .

(٢) الكتاب السابق ٥٤ ، ٥٥ .

الطواحن من جهة خارج الفم .

وخروج الضاد من الجهة اليسرى أسهل وأكثر استعمالاً ، ومن اليمنى أصعب وأقل استعمالاً ومن الجانبين معا أعز وأعسر وكان الرسول ﷺ يخرجها من الجانبين وكان عمر بن الخطاب يحاكى رسول الله ﷺ ويخرجها من الجانبين[1]

خامساً : صفات حرف الضاد :

أولاً : الجهر : ومعناه فى اللغة: الصوت القوى الشديد .

وفى الإصطلاح: انحباس جرى النفس عند النطق بالحرف لقوته وقوة الإعتماد عليه فى موضع خروجه .

والمجهور عند سيبويه : « حرف أشبع الإعتماد فى موضعه ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الإعتماد عليه ويجرى الصوت »[2] .

فحرف الضاد لقوّته فى نفسه وقوة الإعتماد عليه فى موضع خروجه لا يخرج إلّا بصوت قوى يمنع النفس من الجرى معه عند النطق به ، وبهذا الإعتبار سمّى مجهوراً فإذا أردت أن أحقق صفة الجهر فى الضاد فينبغى — كما يقول سيبويه — أن أشبع الإعتماد عليه فى موضع خروجه بحيث يمتنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الإعتماد عليه ويجرى الصوت حينئذ .

---

(١) أحكام قراءة القرآن ٤٢ .

(٢) الكتاب — سيبويه ٤/٤٣٤ .

ثم اعلم أن بعض الحروف أقوى فى الجهر من بعض على حسب ما فى الحرف من صفات القوة ، ولذلك يعدّ حرف الضاد ضمن الحروف القويّة فى الجهر ، وذلك لاجتماع كلّ صفات القوّة فيه عدا صفة ضعف واحدة وهى الرّخاوة كما سيأتى ، وعلى ذلك فإن اعتماد القارىء على مخرج الضاد ينبغى أن يكون اعتماداً قوياً يتلاءم وما فى الضاد من قوّة الجهر وانحباس النفس .

أما الظاء فهى أنزل رتبة فى الجهر من الضاد ، لأن صفات القوة التى اجتمعت فى الظاء أقل من التى اجتمعت فى الضاد .

ثانياً : الرخاوة : ومعناها فى اللغة : اللّين .

وفى الإصطلاح : لين الحرف وجريان الصوت عند التلفظ به لضعفه وضعف الإعتماد عليه فى مخرجه(١) . أو كما يعرفه ابن جنىّ (أعنى الحرف الرخو) : هو الذى يجرى فيه الصوت(٢) .

ووصفت الضاد بالرخاوة للينها وضعف الإعتماد عليها فى موضع خروجها فلم تقو على منع الصوْت من الجرى معها ، إلا أن جرى الصوت يكون داخل المخرج ولا يتعداه إلى مخرج حرف آخر كما يتوهم البعض .

قال فى المطالب العليّة : والرّخاوة لغةً : اللين ، سمّيت الرّخوة رخوة لأنها لينة قابلة للتطويل بسبب جرى الصوت فى مخرجها حال

(١) أحكام قراءة القرآن الكريم ٦٠ .

(٢) سر الصناعة الاعراب ابن جنى ١ / ٧٠ .

النطق[1] . أ . هـ[2] .

والأصوات الرّخوة عند النطق بها ، لا ينحبس معها الهواء انحباساً محكما وإنّما يكتفى بأن يكون مجراها عند المخرج ضيقاً جداً ويترتب على ضيق المجرى أنّ النفس فى أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعاً من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعاً لنسبة ضيق المجرى[3] ، وعلى أنه رغم التقاء العضوين مع بعض الأصوات فقد يجد النفس له مسربا يتسرّب منه إلى الخارج ، وحينئذ يمرّ الهواء بدون أن يحدث أى نوع من الصفير أو الحفيف[4] ، ولكون الضاد صوتاً

---

(١) المطالب العليّة — ١٠ ، ١١ .

(٢) قال فى هداية الطلاب : الرخوة فى اللغة : اللين مطلقا ، وفى الإصطلاح : جرى الصوت وهو مطلق أيضا فاللين يطلق على الحجر الصلب بالنسبة إلى الحديد فيفاوت فى جنس الحجر ، ثم يطلق على التراب الخالص اليابس بالنسبة إلى الحجر فيفاوت فى جنس التراب ، وجرى الصوت كذلك يطلق على القليل والكثير ، فكذلك فى حروف الهجاء — يعنى الرخوة — متفاوته فى حروفها ، كثيرة فى المهموسة قليلة فى المجهورة لاسيما فى المجهورة المستعلية المطبقة المصمته فهى أقل كما فى الضاد . ا . هـ .

وقال الأزميرى : ضعف الإعتماد مطلق يشتمل القليل والكثير كما صرح به بعض المجوّدين فى رسالته ، قال على القارى وغيره من شرّاح الشاطبية : ما جمع جميع الصفات القوية كالطاء المهملة فهو أقوى الحروف وما جمع جميع الصفات الضعيفة فهو أضعفها كالهاء ، وما اجتمع فيه الأمران فهو متوسط فيها ، وضعفه وقوته بحسب ما تضمنه منها . ا . هـ . ثم قال : إن الضاد تضمّن ما لا يتضمّنه الظاء من الصفات القوية كما سمعته ، فقلّ جريه فانطبق ما قالوا — أى الشرّاح — على الضاد المتسلسلة — أى الصحيحة الاسناد . اهـ .

(٣) الأصوات اللغوية د . إبراهيم أنيس ص ٢٤ .

(٤) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص ٢٤ واللغة العربية خصائصها وسماتها (دراسات=

رخواً تلتقى حافّة اللسان الواقعة بين مخرج الياء واللام بما يقابلها من الأضراس العليا التقاء غير محكم فيتسرب الهواء الخارج من الرئتين من بينهما محدثا نوعاً من الحفيف[1] ، بيد أن الرخاوة متفاوتة فى حروفها على حسب ما يحويه الحرف من صفات قوية ، ويشير إلى هذا قول سيبويه فى حديثه عن ادغام الظاء والذال والثاء فى الطاء وأختيها : « والبيان فيهن أمثل منه فى الصاد والسين والزاى ، لأنّ رخاوتهن أشدّ من رخاوتهن لانحراف طرف اللسان إلى أطراف الثنايا والإدغام فيهن أكثر وأجود »[2] بأنه يجوز ادغام الظاء وأختيها فى الطاء والدال والتاء ، ويجوز إدغامهن أيضاً فى الصاد والزاى والسين ، لكن البيان مع الطاء وأختيها أجود من الإدغام والإدغام مع الصاد وأختيها أجود وأحسن من البيان ، وعلّل لذلك بأن رخاوة الظاء وأختيها أكثر من رخاوة الصاد وأختيها ، فمع ما بينهما من تناسب وتقارب صوتىّ لإشتراكهما فى صفة الرخاوة ، فيه أيضاً تقريب الحرف الضعيف من الحرف القوىّ ، وهذا أمر مستحسن فى باب الإدغام .

فلمّا كانت الضاد قد حوت من الصفات القويّة ما لم تحو الظاء .. كانت رخاوة الظاء أكثر من رخاوة الضاد كما يقتضيه نصّ

=فى فقه اللغة) د . عبد الغفار حامد هلال ص ١٦٨ ط أولى ١٩٧٦ انظر رسالة الماجستير ص ٤٧ ، ٤٨ .

(١) انظر قضية الضاد فى التراث اللغوى العربى ــ رسالة ماجستير كلية اللغة العربية قسم أصول اللغة الباحث / أحمد عبد التواب ــ المكتبة المركزية رقم ٧١٠ ص ٦٥ ..

(٢) الكتاب لسيبويه ٢/٤١٩ .

سيبويه السابق ، وكذا تصريح أبى حيان وغيره بأنّ الضاد أقوى من الظاء فى الإطباق لاتصافها بصفات قوية ليست فى الظاء[١] ، ونص مكّىّ بن أبى طالب على أن الجهر الذى فى الضاد أقوى من الصفير الذى فى الصاد[٢] .

وإذا كان الأمر كذلك فما ذهب إليه ساجقلى زادة من أن رخاوة الضاد أكثر من رخاوة الظاء بجعله الظاء قريبة من الحروف الشديدة ، والضاد قريبة من حروف المدّ حينما قال : « الحروف على أربع مراتب : آنىّ — لايمتد أصلا وهى الحروف الشديدة ، وزمانىّ — يمتد قدر ألف وهى حروف المد ، وزمانىّ — يقرب من قدر ألف وهى الضاد وحروف التفشّى ، وزمانىّ — يقرب من الآنىّ وهى باقى الحروف »[٣] ، بعيد عن الصواب ، لأنّه قد جعل الضاد فى تقسيمه هذا قريبة فى جرى صوتها من حروف المد أى أن رخاوتها تقرب من رخاوتهن ، بينما الظاء قريبة فى جرى صوتها من الحروف الشديدة لأنّ رخاوتها قليلةوهذا يدفعه تصريح سيبويه السابق[٤] .

ثالثاً : الإستعلاء : ومعناه فى اللغة : العلوّ والإرتفاع ..

وفى الإصطلاح: ارتفاع اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى[٥] .

---

(١) الرعاية مكى بن أبى طالب ورقة ٤٢ ب ، التذييل والتكميل لأبى حيان جـ٦ /١٢١٨ .

(٢) الرعاية — مكى بن أبى طالب ورقة ١٢١ .

(٣) جهد المقل ورقة ١٢ ب .

(٤) رسالة الماجستير ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٥) أحكام قراءة القرآن ٦٤ والمنح الفكرية ص ٢١ — لطائف الإشارات ١ /١٩٨ .

وسميت الضاد مستعلية لارتفاع اللسان عند النطق بها إلى الحنك الأعلى.

رابعاً: **الإطباق**: ومعناه فى اللغة: الإلصاق.

وفى **الإصطلاح**: التصاق طائفة من اللسان بما يحاذيها من سقف الحنك الأعلى وانحصار الصوت بينهما(١).

قال سيبويه: ومنها (أى من الحروف) المطبقة والمنفتحة، فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء، والمنفتحة كلّ ما سوى ذلك من الحروف، لأنّك لا تطبق بشىء منهن لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى، وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك فى مواضعهن انطبق لسانك فى مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى مواضع الحروف، وأما الدال والزاى ونحوهما، فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك فى مواضعهن، فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان، وقد بُيِّنَ ذلك بحصر الصوت(٢).

والإطباق أبلغ من الإستعلاء(٣)، ووجه هذا ــ كما قال الرضىّ ــ أنه يرتفع اللسان بهذه الثلاثة (الغين والخاء والقاف)(٤) أيضا لكن لا إلى حدّ انطباق الحنك عليها(٥)، فإذ، ضممنا هذا إلى تصريح

---

(١) أحكام قراءة القرآن ٦٦.

(٢) الكتاب لسيبويه ٢/٤٠٦.

(٣) المنح الفكرية ٢١.

(٤) وهى حروف مستعلية غير مطبقة.

(٥) شرح الشافية للرضى ٣/٢٦٢.

سيبويه بأنّ لحروف الإطباق موضعان من اللسان يمكن القول بأن الإطباق عبارة عن استعلاء أقصى اللسان أكثر من استعلائه بالخاء والغين والقاف أى استعلاءً مبالغاً فيه بالإضافة إلى شيء آخر ، ولكن ما هو هذا الشيء الآخر ؟

إن النطق بحرف من الحروف يتم بالتقاء عضوى النطق التقاءً محكما أو غير محكم ، فإخراج الضاد يتطلب أن يرتفع اللسان من بعيد مخرج الياء إلى أول مخرج اللام تجاه الحنك الأعلى حتى يمكن الإعتماد بحافته المقابلة لهذه المنطقة منه على ما يقابلها من الأضراس العليا اليمنى فقط أو اليسرى فقط أو كليهما بافتراش اللسان متحيّزا بينهما ويتطلب النطق بالطاء والظاء والصاد ارتفاع طرف اللسان ليلتقى مع الثنايا مع الصاد أو بأصولها مع الطاء أو بأطرافها مع الظاء ، فالشيء الآخر فى إطباق الضاد هو ارتفاع وسط اللسان تجاه الحنك الأعلى ، وفى الثلاثة الباقية ارتفاع طرفه ، هذا مع استعلاء أقصاه فى الجميع فاللسان مع هذه الأصوات الأربعة يقوم بعملين ، أحدهما: ما يقوم به مع الغين والخاء والقاف وهو ارتفاع أقصاه والآخر: ما يتطلبه الإعتماد على مخارجهن ، أو بعبارة أخرى : ما يقتضيه التقاء عضوى النطق أحدهما بالآخر لحصول ذات الحرف ، فمع هذه الأصوات الأربعة يقوم موضعان من اللسان بحركات عضلية مقصودة لذاتها تجاه الحنك الأعلى ، وبهذا اتضح قول سيبويه: فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان(1) .

---

(1) انظر قضية الضاد فى التراث اللغوى عند العرب ـــ رسالة ماجستير للباحث/ أحمد عبد التواب المكتبة المركزية كلية الدراسات الإسلامية رقم ٧١٠ ص٥٠ ، ص ٥١ .

ثم اعلم أن حروف الإطباق بعضها أقوى من بعض فى الإطباق أيضاً بحسب اجتماع صفات القوّة فيها ، لذا يقول المحقق ابن الجزرى موازنا بين أحرف الإطباق :

فالطاء أقواها فى الإطباق وأمكنها لجهرها وشدتها . والظاء أضعفها فى الإطباق لرخاوتها وانحرافها إلى طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا ، والصاد والضاد متوسطان فى الإطباق(١) أ . ه .

فحرف الضاد أقوى من حرف الظاء اطباقا وبالتالى هو أقوى منه استعلاء ، لزيادة استعلائه فى الفم بالإطباق الذى فيه .

وينبغى أن يعلم أن قول ابن الجزرى رحمه الله: « والصاد والضاد متوسطان فى الإطباق » ليس معناه أنهما متساويان فى قوة الإطباق ، بل معناه أن لهما رتبة متوسطة بين الطاء والظاء ، مع تفاوتها أيضا فى قوة الإطباق بحسب ما فى كل منهما من صفات القوة ، ولا يخفى أن صفات القوة التى فى الضاد أكثر من التى فى الصاد ، فالضاد أقوى اطباقا من الصاد ، ولا يمنع ذلك أن يكونا فى رتبة متوسطة بين الطاء والظاء(٢) . لذا يقول الشيخ القارى : وأقوى درجاته فى الطاء ثم فى الضاد ثم فى الصاد ثم أضعفه فى الظاء . ا . ه(٣) .

---

(١) التمهيد ٩٠ .

(٢) ومثال لذلك : أربعة إخوة أعمارهم ١٢، ٨ ، ٦ ، ٤ ، سنوات ، فالأول أكبرهم سنا ، والأخير أصغرهم سنا ، والآخران متوسطان فى العمر بينهما ، ولا يمنع أن يكون أحدهما أكبر من الآخر .

(٣) قواعد التجويد ـــ للشيخ عبد العزيز القارى ٥١ بتصرف .

خامساً : **الإصمات** : ومعناه فى اللغة : المنع ، لأنه من صمت إذا منع نفسه من الكلام .

وفى الإصطلاح : امتناع انفراد حروفه فى كلمة تزيد عن ثلاثة أحرف بأن كانت أربعة أو خمسة(١) .

سادساً : الإستطالة : ومعناها فى اللغة : الإمتداد .

وفى الاصطلاح : امتداد الصوت(٢) من أول إحدى حافتى

---

(١) أحكام قراءة القرآن ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) تعريف الإستطالة بأنها امتداد للصوت فيه تسامح كبير ومصادمة لما عرفها به أكثر العلماء المحققين من أن المقصود من الإستطالة هو امتداد المخرج وليس امتداد الصوت .

قال صاحب هداية الطلاب : وأما الإستطالة فمآلها الحرف الذى مخرجه أوسع من مخرج سائر الحروف ، قال مكى فى الرعاية : السابع والعشرون الحرف المستطيل وهى الضاد سمى بذلك لأنها استطالت على الفم عند النطق بها حتى اتصل بمخرج اللام ا. هـ وقال الإمام الزنجانى فى كافية شرح الهادى : والمستطيل الضاد ، ويقال له الطويل أيضا لأنه طال فأدرك مخرج اللام ا. هـ . وقال الرضى فى شرحه على الشافية ويقال للضاد طويل لأنه من أقصى الحافة إلى أدنى الحافة أى أوّل مخرج اللام ، فاستغرق أكثرها ا. هـ وكذلك فى جميع كتب التجويد ، ففهم مما ذكر أن المراد بقولهم ضاد مستطيل : أى مخرجه ، وطويل أى مخرجه ، ويوضحه عدم ذكر الإستطالة صاحب التسهيل فى تسهيله وابن الحاجب فى شافيته والزمخشرى فى مفصله وسيبويه فى كتابه حتى اعتُرض عليهم بأنهم لم يذكروا بعض الصفات مع أنهم إنما ذكروها للفصل لما بعده من الإدغام ، لكن عدم ذكرهم اكتفاء بذكر المخرج يؤيد ما قلنا بل يصرح ، لأن صاحب التسهيل ذكر فى آخر الصفات:وما سوى هذه من القاب الحروف نسب إلى مخارجها أو ما جاورها ، فقول بعض : الإستطالة امتداد الصوت ، تفوّه منه وانفراد ولو سلّم هذا فهو مقيّد بعدم مجاوزة المخرج ا. هـ .

وقال الأزميرى: إن الإستطالة هى الإمتداد من أول الحافة إلى آخرها على ما قاله=

قلت : وما ذكره الشيخ الإسقاطى رحمه الله متحقق والحمد لله

اللسان إلى آخرها ، وهى صفة لازمة للضاد المعجمة ، ووصفت بالاستطالة لامتدادها فى مخرجها حتى تتصل بمخرج اللام[١] .

قال ابن جزرى رحمه الله :

الحرف المستطيل هو الضاد المعجمة ، سميت بذلك لأنها استطالت على الفم عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج اللام وذلك لما فيها من القوة بالجهر والإطباق والإستعلاء قويت واستطالت فى الخروج من مخرجها . أ . هـ[٢] .

والفرق بين الإستطالة والمدّ ــ مع أن كلاً منهما امتداد ــ أن بالإستطالة امتداد الحرف فى مخرجه المحقّق مع انحصاره فيه ، وأما المدّ فهو امتداد الصوت عند النطق بحروفه دون انحصار فى المخرج إذ ليس له مخرج محقّق حتى ينحصر فيه ، بل مخرجه مقدر فلا ينقطع المدّ إلا بانقطاع الهواء[٣] .

قال فى نهاية القول المفيد : ولمّا شارك المستطيل الممدود فى امتداد الصوت وجريانه وإن لم يبلغ المستطيل قدر ألف فرّق كما قال الجعبرى بين المستطيل والممدود بأنّ المستطيل جرى فى مخرجه

= الجعبرى وغيره ، وينبغى أن يحمل الإمتداد على امتداد المخرج تطبيقا لقوله : إن المستطيل جرى فى نفسه ، وتطبيقا لما صرح به ابن مالك والدماميني .. وإن الاستطالة صفة قوية اتفاقا ومميزة للضاد من الظاء قسيمة للرخوة باعتبار كون الرخوة من الضعيف وأن الصفة القوية تقوى موصوفها بعكس الضعيفة على ما صرح بكله الجعبرى وغيره ا . هـ رسالة الأزميرى ورقة ٣ ب .

(١) أحكام قراءة القرآن ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) التمهيد ٩٦ ــ النشر ١/ ٢٠٥ .

(٣) حكام قراءة القرآن ــ الحصرى ٧٦ ، ٧٧ .

والممدود جرى فى نَفْسه ـــ بسكون الفاء بمعنى الذات ـــ وتوضيح هذا الفرق أن للمستطيل مخرجا له طول فى جهة جريان الصوت فجرى فى مخرجه بقدر طوله ولم يتجاوزه لما عرفت أن الحرف لا يتجاوز مخرجه المحقّق وليس للممدود مخرج فلم يجر إلا فى ذاته إذ المخرج المقدّر ليس بمخرج حقيقة فلا ينقطع إلا بانقطاع الهواء .أ. هـ[1] .

وفى العبارة السابقة نقطة غاية فى الأهمّية وهى قوله : « وإن لم يبلغ المستطيل قدر ألف » ـــ فالحرف المستطيل حدّه أن يكون فى مخرجه وألا يبلغ زمنه قدر ألف ـــ أى حركتين ـــ فإن بلغ قدر حركتين أو قبل الزيادة على ذلك فقد استطالته وجرى خارج مخرجه واشتبه حينئذ بحروف المدّ ـــ فمخرج الضاد ـــ وإن كان طويلا نسبياً فهو أقصر من أن يمتد الصوت فيه بمقدار ألف ، وهذا يفسّر عدم قبوله لإطالة الصوت به كغيره من الحروف الرّخوة ، لأنّ الضاد امتازت عنهم الإستطالة لذا يقول الشيخ أحمد الإسقاطى تعليقاً على كلام الإمام الجعبرى السابق :

يعنى أن امتداد المستطيل بمده من مبدأ مخرجه إلى أول اللام ، وامتداد الممدود بمد الصوت فيه من غير امتداد مخرجه ، ولهذا لو أردت الزيادة فى المستطيل بعد اتصاله بمخرج اللام لم يمكن ، بخلاف الممدود فإنّ مدّه ممكن بل واقع إلى أن يقطع القارىء صوته[2] أ. هـ .

(١) نهاية القول المفيد ٥٨ .

(٢) حاشية الإسقاطى ورقة ١١٩ ـــ والنكت اللوذعيّة للسنيكى ورقة ٢٨ ب و ١٢٩ .

قلت : وما ذكره الشيخ الإسقاطى رحمه الله متحقق والحمد لله فى ضادنا التى ننطق بها ، وأمّا الضاد الظائية فليست بمستطيلة ، لما علمت أن حدَّ المستطيل أن لا يقبل الزيادة بعد اتصاله بمخرج اللام ، والضاد الظائية تقبل الزيادة بل لو رام الناطق بها أن يطيل صوتها بأى قدر شاء لتثنى له ذلك ، ومعلوم أن ذلك تضييع لصفة الإستطالة المجمع عليها فنحمد الله تعالى على ما وفقنا إليه من حسن تلاوة كتابه الكريم .

* * *

الفصل الرابع

بيان أن الضاد العربية الفصيحة
لا تشبه الظاء المشالة
بحال من الأحوال

بيان أنّ الضاد العربية الفصيحة لا تشبه الظاء المشالة بحال من الأحوال لاستقلال كل منهما بمخرجه وزيادة صفة الإستطالة فى الضاد ، وأنّ دعوى تشابه هذين الحرفين فى السمع دعوى غير قائمة على دليل واضح أو قياس صحيح .

خلق الله جلّت قدرته لكل حرف مخرجه المستقل ليتميَّز به عن غيره من الحروف ، ولو اجتمع أكثر من حرف فى مخرج واحد ففى هذه الحالة لابد أن يتميز كلُّ حرف من الحروف المشتركة فى هذا المخرج ولو بصفة واحدة على الأقل ، وتكون هذه الصفة كافية تماماً لتمييز كل حرف عن الآخر تمييزاً صريحاً واضحاً بحيث لا يشبه صوت أحدهما صوت الآخر ، ولايلتّبس على السامع حرف بحرف آخر .

فإن قدّرنا أنّ الصفات هى التى اشتركت بين حرفين فإن استقلال كلّ منهما بمخرجه عن الآخر هو الذى يميزه عن مثيله فى الصفات ، وفى هذه الحالة أيضاً لا يشبه صوت أحدهما صوت الآخر ، ولا يلتبس على السامع حرف بحرف آخر[1] .

(١) قال الشيخ يوسف أفندى زادة فى رسالته ص ٢ : أما عدم إثباته — يعنى اشتباه الضاد بالظاء فى السمع — فأمره بيّن لمن نوّر الله بصيرته إذا أمعن فكرته الصحيحة السالمة عن التعصب والعناد ، وأما كونه باطلا فى ذاته فلما ذكره أبو محمّد فى كتاب الرعاية حيث قال : واعلم أن الحروف تكون من مخرج واحد وتختلف صفاتها فيختلف لذلك ما يقع فى السمع من كل حرف ، وهذا تقارب بين الحروف من جهة المخرج وتباين من جهة الصفة، وتكون الحروف من مخرجين وهى مختلفة الصفات فهذا غاية التباين، إذ قد=

ولوَ ضربنا مثالا لحرفين اتحدا فى المخرج ولم يختلفا إلا فى صفة واحدة كالزاى والسين : نجد أنهما اشتركا فى المخرج وفى الرخاوة والإستفال والإنفتاح والإصمات والصفير ، ولم يفترقا إلّا فى الجهر الذى فى الزاى والهمس الذى فى السين ، فلولا الجهر الذى فى الزاى لصارت سينا ، ولولا الهمس الذى فى السين لصارت زايا ، وعلى الرغم من هذا التشابه العظيم فى الصفات والإتحاد فى المخرج فإنّ صوت السين وصوت الزاى متميزّان من بعضهما تميزّاً خالصاً ، لا يشك سامع أن هذه سين وهذه زاى ، ولم يقل أحد بضرورة اشتباه هذين الحرفين فى السمع أو بالنطق بأحدهما مشربا بصوت الآخر لاشتراكهما فى المخرج وتقاربهما فى الصفات .

ولنأخذ الآن مثالا لحرفين تقاربا مخرجا وصفة ولم يفترقا إلّا فى صفة واحدة ، وهما اللام والراء ، فإنّهما متقاربان جداً فى المخرج ، بل من العلماء من عدّهما من مخرج واحد (كالفرّاء) ، كما أنهما اشتركا فى الجهر والتوسط والإستفال والإنفتاح والإذلاق والإنحراف ، ولم يفترقا إلا فى صفة التكرير التى تميزت بها الراء عن اللام .

=اختلفت فى المخرج والصفات، وتكون من مخرجين متفقة الصفات فهذا أيضا تقارب الحروف من جهة الصفات وتباين من جهة المخرج ، فافهم هذا فذلك مدار الحروف ، ولا تجد أحرفا من مخرج واحد متفقة الصفات البتة ، لأن ذلك يوجب اتفاقها فى السمع فلا تفيد فائدة فتصير كأصوات البهائم التى لا اختلاف فى مخارجها ولا صفاتها فلابد أن يختلف الحروف إما فى المخارج وإما فى الصفات انتهى . ا . هـ قلت : الضاد والظاء من مخرجين مختلفين وصفاتهما مختلفة فهما فى غاية من التباين وليسا — بالطبع — متشابهين فى السمع كما ادّعى مخالفوا التواتر والإجماع .

وعلى الرغم من هذا التقارب الشديد (أو قل الإتحاد) فى المخرج ، وكذا التقارب الكبير فى الصفات بين اللّام والرّاء إلّا أنّ صوت الرّاء وصوت اللّام متميّزان من بعضهما تماماً ، لا يشكّ سامع أن هذه لام وهذه راء ، ولم يقل أحد بضرورة اشتباه هذين الحرفين فى السمع أو بالنطق بأحدهما مشربا بصوت الآخر لأنهما متقاربان فى المخرج والصفات ، بل لو نطق شخص بلام يداخلها صوت الراء ، أو بالراء يداخلها صوت اللام لما شكّ أحد أن فى لسانه عيبا .

ولنأخذ الآن مثالا لحرفين اشتركا فى كلّ الصفات إلّا أنّهما اختلفا فى المخارج ، كالتاء والكاف ، كذا النون والميم ، فإن التاء والكاف اشتركا فى كلّ الصفات وهى الهمس والشدة والإستفال والإنفتاح والإصمات ، والنون والميم أيضاً اشتركا فى كلّ الصفات وهى الجهر والتوسط والإستفال والإنفتاح والإذلاق والغنّة ، ولم يختلف أىّ من هذه الحروف عن مثيله فى الصفات إلّا بالمخرج ، وعلى الرغم من الإشتراك التام فى الصفات فإن اختلاف المخارج كان كفيلاً بتمييز كلّ حرف عن الآخر بحيث لا يشك سامع أن هذه تاء أو كاف وأن هذه نون أو ميم ، ولم يقل أحد بضرورة اشتباه التاء والكاف أو النون والميم فى السمع ولا بضرورة نطق التاء مشربه بصوت الكاف أو النون مشربة بصوت الميم لاتحادهم فى الصفات .

والآن لنأخذ حرفى الضاد المعجمة والظاء المشالة محلّ البحث وننظر أين هما من الأمثلة السابقة ، إلّا أننا سنفترض هاهنا افتراضين : الأول : لو افترضنا أن الضاد والظاء يخرجان من مخرج

واحد (وهو افتراض غير صحيح بالطبع إذ أن لكل واحد منهما مخرجه المستقل فالظاء تخرج من طرف اللسان وما يحاذيه من أطراف الثنيتين العليين ، أما الضاد فتخرج من حافة اللسان مع ما يليها من الأضراس) ففى هذه الحالة يكفى الضاد الإستطالة التى فيها لتميزها عن الظاء المشتركة معها فى باقى الصفات تماماً كما تميّزت الزاى عن السين بالجهر الذى فى الزاى على الرّغم من اتحاد المخرج وبقيّة الصفات ، ولما التبس نطق الضاد بالظاء كما لم يلتبس نطق الزاى بالسين (وكذا القول فى اللام والرّاء على القول بأنّهما من مخرج واحد) .

أما الإفتراض الثانى : فهو افتراض أن الضاد والظاء مشتركان تماماً فى الصفات وتناسينا ما فى الضاد من استطالة (وهو أيضا افتراض غير صحيح للإجماع على استطالة الضاد) .

ففى هذه الحالة يكفى كون كلّ واحد منهما من مخرج مستقل ليتميز بذلك عن الآخر كما تميّزت التاء عن الكاف والميم عن النون ، ولما التبس نطق أحدهما بالآخر كما لم يلتبس نطق التاء بالكاف ولا الميم بالنون .

فما بالكم وقد جمعت الضاد بين الميزتين وهما اختلاف إحدى صفاتها (وهى الإستطالة) عن صفات الظاء ، وكذلك اختلاف مخرجها عن مخرج الظاء ، فهذان الحرفان أولى بالتميّز عن بعضهما من الزاى والسين والتاء والكاف واللّام والرّاء والميم والنون ولو استجاز إنسان لنفسه أن ينطق بالضاد شبيهة فى السمع بالظاء أو مشربة

بصوتها بحجّة تقارب المخارج والصفات لتحتّم عليه بطريق الأولى أن ينطق بالزاى مشربة بصوت السين ، واللام مشربة بصوت الراء ، والتاء مشربة بصوت الكاف ، والميم مشربة بصوت النون ، ومعلوم ما فى هذا من فساد ، وظهر بطلان الحجّة التى يتمسكون على أساسها بالنطق بهذه الضاد العجيبة ، وتعيّن النطق بالضاد خالصة خالية من صوت الظاء الدخيل عليها[1] .

---

(١) قال صاحب هداية الطلاب : وأما الضاد الصحيحة المتواترة فيقرأ عند أهل الأداء والتحقيق بصوت لا يشبه صوت حرف آخر من حروف الهجاء لأن مخرجه وحده — وهو حافة اللسان وما يليها من الأضراس من الأيسر أو الأيمن عند سيبويه — يميزها عما عداها ، لأنه لا يشاركها حرف آخر فى مخرجها عنده ، قال فى النشر : فكل حرف شارك غيره فى مخرج فإنه لا يمتاز عن مشاركة إلا بالصفات ، وكل حرف شارك غيره فى صفاته لا يمتاز عنه إلا بالمخرج . ا . هـ .

وقال الشيخ/ يوسف أفندى زادة ص ٢ : قال مكى : واعلم أنه لولا اختلاف الصفات فى الحروف لم يفرق بين أحرف من مخرج واحد ، ولولا اختلاف المخارج لم يفرق فى السمع بين حرفين أو حروف على صفة واحدة ا . هـ ثم قال ص٣ : وفى المفيد شرح عمدة المجيد فى علم التجويد للإمام العلامة بدر الدين ابن أم قاسم النحوى المقرى : مخرج الظاء متميز من مخرج الضاد فلا اتصال بينهما ، ولولا اختلاف المخرجين وما فى الضاد من الإستطالة لا تحدا فى السمع .

وفيه أيضا : إن التحفظ بلفظ الضاد واجب لئلا يدخله شائبة لفظ الظاء والذال المعجمين .

وفيه أيضا : وإن أردت فصلها عن الظاء فأخرجها من مخرجها وبيّن استطالتها فبذلك يفترقان فى اللفظ والسمع ا . هـ .

قال الزمخشرى[1] فى الكشاف (وكذا نقله عنه أبو شامة فى إبراز المعانى) : وإتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ، ومعرفة مخرجيهما مما لابد منه للقارىء ، فإنّ أكثر العجم لا يفرّقون بين الحرفين فإن فرقوا ففرقا غير صواب ، وبينهما بون بعيد .

فإن قلت : وضَعَ المصلّى أحد الحرفين مكان صاحبه قلت : هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين ، لأنّ التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين أخواتهما[2] .

ففى هذه العبارة نصّ الزمخشرى رحمه الله على أنّ بين الضاد والظاء فى أصل اللغة فرقاً كبيراً لا يصعب إدراكه ولا تخفى حقيقته ، لأنّ تفاوتهما لفظاً وسمعاً كالتفاوت الذى بين الذال والجيم وكالتفاوت الذى بين الثاء والشين ، ومن المقرر لدى عامّة الناس فضلاً عن خاصتهم ما بين كل اثنين من هذ الأحرف من تفاوت كبير فكذلك الأمر والحال بين الضاد والظاء .

وقال ابن عطاء الله الملتجى فى التحرير السديد : فالواجب تمييز

---

(١) هو محمود بن عمر بن أحمد الزمخشرى أبو القاسم جار الله ، كان واسع العلم كثير الفضل ، وله من التصانيف : الكشاف فى التفسير ـــ الفائق فى غريب الحديث ـــ المفصل فى النحو ـــ أساس البلاغة وغيرها . ولد فى رجب سنة سبع وتسعين وأربعمائة ، ومات يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة للهجرة ا. هـ . هداية القارى للشيخ/ المرصفى ص ٧٣٨ ، ٧٣٩ .

(٢) الكشاف للزمخشرى ٤/ ٥٧٠ ـــ روح البيان لإسماعيل حقّى ٤/ ٥٩٧ ـــ إبراز المعانى ٤٩٣ .

الضاد عن الظاء فى التلفّظ بالمخرج والصفة لتفترقا فى السمع[1].

فلقد صرّح بأنّ الضاد إذا خرجت من مخرجها معطاة مالها من صفات فارقت الظاء فى السمع وبذا يستطيع السامع أن يفرّق بين الصوتين ويميّز كلّ واحدة منهما عن الآخرى تمييزا تاما[2].

فهذه نصوص صريحة فى أنّه لا اشتباه بين الضاد والظاء فى السمع بل الحق أنّ بينهما بوناً بعيداً ، وأنّ الذين يشتبه صوتا هذين الحرفين عندهم هم أكثر العجم ، فهذه لكنة أعجمية نعوذ بالله أن ندخلها بأيدينا إلى القرآن .

ويمكن تلخيص الفرق بين الضاد والظاء فى النقاط الآتية :(*)

أوّلاً : من حيث المخرج :

١ ــ هناك اختلاف بين مخرجى الضاد والظاء ، فلكلّ منهما مخرجها الخاص بها ، فالضاد العتيقة ــ كما سبق تحقيقه ــ تخرج ممّا يحاذى بعيد مخرج الياء إلى أوّل مخرج اللام من حافّة اللسان ، مع ما يقابلها من الأضراس العليا ، والظاء تخرج ممّا بين طرف اللسان

(١) التحرير السديد بشرح القول المفيد لابن عطاء الملتجى ورقة ١٢٧ ، نقلا عن شارح زبدة العرفان .

(٢) انظر رسالة الماجستير رقم ٧١٠ ــ المكتبة المركزية ــ كلية الدراسات الإسلامية ص٢٣٨ .

(*) انظر ــ قضية الضاد فى التراث اللغوى عند العرب رسالة ماجستير للباحث / أحمد عبد التواب ــ كلية اللغة العربية ــ قسم أصول اللغة المكتبة المركزية ــ كلية الدراسات الإسلامية رقم ٧١٠ ص ٢١٢ ــ ص ٢١٥ .

وأطراف الثنايا[١] ، فالضاد تخرج من حافة اللسان فلا يحرّك معها طرفه ، ولا تشترك الثنايا فى لفظها ، وبخلافها فى الظاء والذال والثاء فإنّها بأسرها تخرج من طرف اللسان مع استعانة الثنايا[٢] ، ومن ثَمَّ فإنّ هواء النفس الخارج من الرئتين عند خروج الضاد يخرج من إحدى حافتى الفم أو منهما معا[٣] ، بخلاف الظاء فإنّ هواء النفس معها يخرج من وسط اللسان لا من جانب الفم .

٢ ـــ الضاد ليس شىء من موضعها غيرها[٤] ، والظاء من حيز الذال والثاء ومخرجيهما[٥] ، فالظاء والذال والثاء فى حيز واحد[٦] .

٣ ـــ أنّ هناك تباعد بين مخرجيهما ، فبين مخرجى الضاد والظاء مخرج اللام لأن ابتداء مخرجها (أقرب من مقدم الفم من مخرج الضاد[٧] ، وكذا مخرج النون أخرج من مخرج اللام[٨] ، ومخرج الراء أدخل من مخرج النون , أخرج من مخرج اللام[٩] ، وبينهما أيضا مخارج الطاء والدال والتاء والصاد والزاى والسين ، لأنّ أئمّة اللّغة قدّموا فى ذكرهم المخارج وترتيبهم الحروف ترتيباً صوتياً مخرج الضاد على مخارج

---

(١) الكتاب لسيبويه ٢/٤٠٥ .

(٢) مجلة الضياء لليازجى ١/٥٣ .

(٣) علم اللغة العام ـــ الأصوات ـــ د . كمال بشر ١١٥ ، ١٣٦ .

(٤) الكتاب لسيبويه ٢/٤٠٦ ـــ سر صناعة الإعراب لابن جنى ١/٧١ .

(٥) غنية المريد للقلقيلى ورقة ٥٢ ا .

(٦) العين ـــ الخليل بن أحمد ١/٦٥ .

(٧) شرح الشافية الجاربردى ١/٣٣٦ .

(٨) المرجع السابق ١/٣٣٧ .

(٩) المرجع السابق ١/٣٣٧ .

هذه الحروف بينما أخروا الظاء عنها ، قال الجاربردى : وكلّ مخرج قدمناه فى الذكر ، فهو أقرب إلى ما يلى الصدر وأبعد من مقدم الفم مما أخرناه عنه[1] ، وقد فصل بين مخرجى الضاد والظاء بمخارج هذه الحروف[2] ، ودلّل بمسلكه فى ترتيب الحروف فضلاً عن تصريحه هذا على ما بين مخرجى الضاد والظاء من بعد كبير وأن مخرج الظاء متميز عن مخرج الضاد ولا اتصال بين مخرجيهما[3] .

ثانياً : من حيث الصفات :

١ ـــ الضاد وإن شاركت الظاء فى صفة الجهر إلّا أنّ الضاد أقوى فى الجهر من الظاء[4] ، بدلالة تعقيب ابن الحاجب فى شرحه على شافيته على ما ذهب إليه السكّاكى من أنّ الضاد والظاء والذال والزاى والعين والغين والياء من المهموسة ، كما هو مفاد من حصره والمجهورة فى قولهم: « قدك أترجم منطالب »[5] .

بقوله: لو قال إنّها بين المجهورة والمهموسة لكان أقرب ، مع أنّ الضاد بعيدة عن الهمس[6] .

---

(١) شرح الشافية للجاربردى ١/٣٣٧ ، ٣٣٨ .

(٢) المرجع السابق ١/٣٣٦ ، ٣٣٧ .

(٣) المفيد فى شرح عمدة المفيد وعدة المجيد فى النظم والتجويد لابن أمّ قاسم النجوى ورقه ١١٩ .

(٤) رد الإلحاد فى النطق بالضاد لعلى المنصورى ورقة ٥ ب مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٣٢ ـــ تفسير تيمور ، ورسالة محمد الأزميرى ورقة ١٤ .

(٥) مفتاح العلوم للسكاكى ص ٥ الطبعة الأولى ـــ مطبعة عيسى الحلبى .

(٦) شرح الشافعية (للجاربردى ١ / ٤٣٤ ـــ وردّ الإلحاد فى النطق بالضاد ورقة ٤ ب ، ٥ ب) .

فبعض المجهورة أقوى من بعض على قدر ما فيها من صفات القوة غير الجهر[1].

٢ ــ الضاد والظاء وإن اشتركا فى صفة الرخاوة إلا أن الرخاوة فى الضاد أقل منها فى الظاء[2]، بدلالة تصريح سيبويه بأن رخاوة الظاء أكثر من رخاوة الصاد[3]، ومن الثابت أن الضاد أقوى من الصاد لأن الجهر الذى فى الضاد أقوى من الصفير الذى فى الصاد[4] فدّل هذا على أنهما متفاوتان فى صفة الرخاوة.

٣ ــ الضاد وإن شاركت الظاء فى خروج مثل النفخ إلّا أنّ بينهما تفاوت فيه على حسب ما يحويه كلّ منهما من صفات القوّة، ولمّا كانت الضاد قد حوت من الصفات القويّة ما لم تحوه الظاء كان خروج مثل النفخ مع الضاد أقلّ منه من الظاء وذلك كما قال الأزميرى: فلو وقفت على الضاد يخرج معها مثل النفخ ولكنه لما اتصف بصفات قوية غير موجودة فى أخواتها الثلاث لم تكن مثل أخواتها فى خروج مثل الريح[5].

(١) الرعاية لمكى بن أبى طالب ورقة ٣٧ ب ــ ولطائف الإشارات للقسطلانى ورقة ٨٧ ب.

(٢) رد الالحاد فى النطق بالضاد لعلى المنصورى ورقة ٥ ــ ورسالة ضاد/الحاج محمود ص ١٠ ب.

(٣) الكتاب لسيبويه ٢/ ٤١٩.

(٤) الرعاية ماكى بن أبى طالب ورقة ٢١ أ ــ والتذييل والتكميل لأبى حيان جـ ٦ ورقة ٢١٣ أ.

(٥) رسالة الشيخ محمد الأزميرى فى الرد على رسالة المرعشى ورقة ٢٧أ مخطوط فى دار الكتب المصرية رقم ٢٣١ تفسير تيمور وانظر ما ذكرناه فى البحث من أن الضاد كالراء فى خروج مثل النفخ عند الوقف عليها.

٤ ــ إطباق الضاد دون إطباق الطاء وفوق إطباق الظاء[١]، كما صرح بذلك غير واحد من رواد الأداء القرآنى .

٥ ــ لولا الإطباق لصارت الظاء ذالاً ولخرجت الضاد من الكلام[٢]، قال على المنصورى : وذلك أنك لو نطقت بالضاد من حافة اللسان مع الاطباق ثم أردت النطق بها ثانياً من محل نطقك الأول . بلا إطباق لم يتاتى لك أن تنطق بحرف من حروف الهجاء ، بخلاف الطاء ، والظاء ، فإنهما إذا جردا عن الإطباق صارت الطاء دالا والظاء ذالا[٣]، فالظاء نظير الذال المفخم[٤] .

٦ ــ الضاد لا يشركها فى صفة الإستطالة غيرها من الحروف ، والإستطالة نفسها قويت بها الضاد .

٧ ــ الضاد فى ذاتها قوية والظاء ضعيفة[٥]، إذ على قدر ما فى الحرف من الصفات القوية تكون قوته وعلى قدر ما فيه من الصفات الضعيفة يكون ضعفه[٦]، والضاد قد حوت من الصفات القوية ما لم تحو الظاء ومن ثم كانت الضاد من أقوى الحروف بعد الطاء[٧]،

---

(١) جهد المقل لساجقلى زادة ورقة ١٤ ب .

(٢) الكتاب لسيبويه ٢/ ٤٠٦ سر صناعة الإعراب لابن جنى ١/ ٧٠، ٧١ الممتع لابن عصفور ٢/ ٧٤ .

(٣) رد الإلحاد فى النطق بالضاد لعلى المنصورى ورقة ٥ أ .

(٤) المدخل إلى علم اللغة الدكتور رمضان عبد التواب ص ٤٥ .

(٥) رد الإلحاد فى النطق بالضاد ورقة ٥ ب .

(٦) الرعاية لمكى بن أبى طالب ورقة ٢٠ .

(٧) الدر النضيد فى المسائل المتعلقة بالتجويد للفاضل البركوى ورقة ٣ ب .

والظاء من أقوى الحروف بعد الضاد[١] .

٨ ــ الظاء والذال والثاء لثوية[٢] ، لأن النفس المصاحب لهذه الأحرف ينتشر ويتصل باللثة[٣] ، بينما الجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم أى مفرج الفم[٤].

فمن كل هذه الفروق التى ذكرناها يظهر لكل منصف ما بين الضاد والظاء فى أصل اللغة من بون شاسع وفرق كبير يحتم اختلافهما التام فى اللفظ والنطق .

ولا يعقل إنسان أن يظهر أثر صوت أحد الحروف فى أثناء النطق بحرف آخر إلا إذا كان الحرف الأول قد شارك مخرجه فى عملية النطق بالحرف الثانى ولو بجزء ضئيل من هذا المخرج ، فلو أراد شخص أن ينطق بالهمزة مسهلة بينها وبين الواو مثلا فإنه لا يعتمد على مخرج الهمزة فقط وإلا لجاء الحرف همزة خالصة ، ولا يعتمد على مخرج الواو فقط ، وإلا لجاء الحرف واواخالصة، وإنما يشرك مخرج الحرفين فى النطق حتى يخرج مزيجا منهما وينتج عن هذا الحرف المطلوب .

فالذين ينطقون بالضاد مداخلها صوت الظاء يشركون مخرج الظاء معهم فى أثناء نطقهم بالضاد إلا أن هذه المشاركة لا تستوعب

---

(١) المرجع السابق ورقة ٣٣ أ

(٢) العين للخليل بن أحمد ١/ ٦٥ .

(٣) جهد المقل ساجقلى زادة ورقة ٦ ب ، ٧ أ .

(٤) العين للخليل بن أحمد ١/ ٦٥ .

مخرج الظاء بالكلية وإلا لتحولت الضاد إلى ظاء خالصة ، ولكنهم يستعملون جزءً صغيراً من المخرج وهو الذى يعطى للضاد أثناء نطقهم بها الإشتباه بالظاء حتى يتقاربا فى السمع ، ومن أراد أن يتقن من هذا فلينطق بالضاد على الهيئة التى ينطقونها بها ويرى من نفسه كيف امتد صوت الضاد الناشىء من عدم إحكام الإعتماد على مخرج الضاد حتى اتصل بمخرج الظاء الذى شارك بدوره فى النطق حتى ظهر أثره ونتج من الحرفين حرف لا هو بضاد ولا هو بظاء ، وهو ما يسميه العلماء بالضاد الضعيفة قال ابن يعيش رحمه الله تعالى : «والضاد الضعيفة من لغة قوم اعتاصت عليهم فربما أخرجوها طاء وذلك أنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا . وربما راموا إخراجها من مخرجها فلم يتأت لهم فخرجت بين الضاد والظاء » ا . هـ[1] .

فهذه الضاد الضعيفة ــ التى يظنون أنها الضاد الفصيحة ــ هى حصيلة لعدم تحقيق إخراجها من مخرجها المنصوص عليه ، ولعدم تحقيق الجهر والإستطالة والرخاوة فيها مع اعطائها استعلاء وإطباقا لا يتلاءمان مع قوة الحرف ، فنتج من ذلك حرف لا هو من مخرج الضاد ولا له صفاتها فنسميه ضادا ، ولا هو من مخرج الظاء ولا له صفاتها فنسميه ظاء ، إنما هو مزيج عجيب من الصفات ، لا يجد له مخرجا يخرج منه فهو حائر بين حافة اللسان وطرفه ، لا يعرف له من أين ابتدأ ولا أين ينتهى ، وحروف الهجاء الأصلية لا تكون هكذا .

---

(١) شرح الفصل ١/ ١٢٧ ، ١٢٨ .

والضاد حرف أصلى لا يترد بين المخارج ، بل له مخرج لا يشاركه فيه غيره من الحروف ، أما ما ينطقون به فليس بأصلى لاختلال صفاته وتردده بين المخارج ، فهو حرف فرعى غير فصيح بل قد صرح الكثير من أئمة اللغة على أن النطق بالضاد على هذه الكيفية مستهجن مرذول غير متقبل ، فقد قال على بن أحمد القوشجى فى عنقود الزواهر ، بعد ما ذكر الحروف الفرعية المستحسنة: والثانية (يعنى الحروف المستهجنة) الكاف الشبيهة بالجيم والجيم الشبيهة بالشين والضاد الشبيهة بالظاء والصاد الشبيهة بالسين ا . هـ[1] .

وقد ذكره أيضا الشيخ ملّاعلىّ ، وعدّه من أنواع اللحن الذى يقع فيه الناس حال نطقهم بالضاد ، فقال: وقد انفرد الضاد بالإستطالة حتى تتصل بمخرج اللام لما فيه من قوة الجهر والإطباق والإستعلاء، وليس فى الحروف ما يعسر على اللسان مثله، وألسنة الناس فيه مختلفة، فمنهم من يخرجه ظاءً ومنهم من يخرجه دالا مهملة أو معجمة ، ومنهم من يخرجه طاء مهملة كالمصريين ، ومنهم من يشمّه ذالا ، ومنهم من يشربها بالظاء المعجمة ا . هـ[2] .

فالشاهد فى العبارة السابقة هو قوله : ومنهم من يشربها بالظاء المعجمة ، أى يخلط صوتها بصوت الظاء ، لأنه قد ذكر فى أول عبارته أن هناك من يخرجها ظاء خالصة ، فانظر رعاك الله كيف غاير بين إخارجها ظاء وبين اشرابها بالظاء ، فكل منهما مختلف عن

---

(١) عنقود الزواهم فى نظم لجواهر لعلى بن أحمد القوشجى ورقة ٢٧ أ مخطوط بدار الكتب رقم ٣٥ صرف تيمور .

(٢) المنح الفكرية ٣٨ .

الآخر ، وإلا فما معنى التكرار ، بل الظاهر الذى لا محيد عنه أن من الناس من ينطق بالضاد ظاء خالصة ومنهم من يشربها بالظاء فيمزج صوتها بصوتها ، وكلاهما لمن لا تجوز القراءة به إلّا لمن لا يحسن غير ذلك فيعذر .

ويجدر بنا هنا أن نذكر ما سبق أن ذكرناه من كلام العلّامة الزمخشرى حيث قال : واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لابد منه القارىء ، فإنّ أكثر العجم لا يفرّقون بين الحرفين ، فإن فرّقوا ففرقا غير صواب ، وبينهما بون بعيد . ا . هـ[1] .

فالضاد العربية الفصيحة لا شبه لها بالظاء البتة بل لكل منهما نطقه الخاص الناشىء من انفصالهما فى المخارج واختلافهما فى الصفات تماما كغيرهما من الحروف المتباينة فى النطق نتيجة لتباينهم فى المخرج أو الصفات أو فيهما معا .

وأمّا عبارة[2] ابن الجزرى التى ساقوها سنداً لدعواهم بل

---

(١) الكشاف للزمخشرى ٤ / ٥٧٠ روح البيان لإسماعيل حقى ٤ / ٥٩٧ وإبراز المعانى ٤٩٣ .

(٢) عبارة ابن الجزرى كما فى التمهيد : فمنهم من يجعله ظاء مطلقا لأنه يشارك الظاء فى صفاتها كلها ويزيد عليها بالإستطالة ، فلولا الإستطالة واختلاف المخرجين لكانت ظاء ، وهم أكثر الشاميين وبعض أهل المشرق ، وهذا لا يجوز فى كلام الله تعالى لمخالفة المعنى الذى أراد الله تعالى إذا لو قلنا : « الضالين » بالظاء كان معناه الدائمين ، وهذا خلاف مراد الله تعالى ، وهو مبطل للصلاة ، لأن الضلال بالضاد هو ضد الهدى ، كقوله : « ضلّ

واعتبروها أقوى دليل على ما ادعوه ، فإنّهم فى تعقيبهم عليها اعترفوا بأنّ مشابهة الضاد بالظاء فى السمع كمشابهة الصاد بالسين فى السمع[1] ، ولقد صرّح مكّى بن أبى طالب بأنّ الصاد وإن شاركت السين فى المخرج وأكثر الصفات إلّا أنهما مختلفان فى السمع ومتميّزان فيه تميّزاً واضحاً ، وعبارته : يجب أن تعرف أن السين حرف مواخ للصاد لإشتراكهما فى المخرج والصفير والهمس والرخاوة ، ولولا الإطباق والإستعلاء اللذان فى الصاد وليسا فى السين لكانت السين صادا ، فاعرف من أين اختلف السمع فى هذه الحروف والمخرج واحد والصفات متفقة ، فإذا علمت ما بين السين والصاد من التقارب والتشابه فحسّن لفظك بالسين حيث وقعت ومكّن الصفير فيها ، لأن الصفير الذى فى السين أبين منه فى الصاد للإطباق الذى فى الصاد ، فيتمكن اظهار الصفير الذى فى السين ويصفى لفظها فتظهر وتخالف لفظ الصاد ، وبإظهار الإطباق الذى فى الصاد يصفى لفظها وتتميز من السين ، فاعرف الفرق فى اللفظ بين السين والصاد[2] فإذا كانت السين والصاد مع اتفاقهما فى المخرج واشتراكهما فى أكثر الصفات مختلفتان فى السمع فكيف الأمر بين الضاد والظاء وقد

= من تدعون إلاّ إياه » و « ولا الضالين » ونحوه بالظاء هو الدوام كقوله : « ظل وجهه مسودا » وشبهه ، فمثال الذى يجعل الضاد ظاء فى هذا وشبهه ، كالذى يبدل السين صادا فى نحو قوله : « وأسروا النجوى » و « وأصروا واستكبروا » ، فإن الأول من السر والثانى من الاصرار ا . هـ التمهيد ص ١٣٠ مكتبة المعارف ـــ الرياض .

(١) الضاد وأحكامها للحافظ / القونوى ٣٢ ا .

(٢) الرعاية ـــ مكى بن أبى طالب ورقة ٥٣ ا ، ٥٣ ب .

اختلف مخرجيهما وتباعدا فى أكثر الصفات[١] .

فإن قال قائل : لقدْ ذكر مكّى فى الرعاية أن الظاء المعجمة شبيه لفظها فى السمع بلفظ الضاد . فما قولك فى ذلك ؟

أقول : قال العلّامة على المنصورى : هذا افتراء على الرعاية فإنى راجعت فلم أجد فيها هذه العبارة بل فى الرعاية ما ينفى ذلك ، وهو قوله : لولا اختلاف مخرجيهما لم يختلفا فى السمع ، ولولا حرف امتناع لوجود فتدلّ على عدم الإشتباه فى السمع ، وقال فى شرح عمدة المفيد : ولولا اختلاف المخرجين وما فى الضاد من الإستطالة لكان لفظهن واحدا ولم يختلفا فى السمع . انتهى ما قال المنصورى[٢] .

أقول : لو سلّمنا صحّة النّقل ، فالجواب على ذلك ما قاله صاحب قضية الضاد ، حيث قال : أمّا ما نقلوه عن مكّى فلا ينفعهم الإستدلال به ، لأنّ فى كتابه الرعاية أماكن كثيرة تشهد بأنّه لم يرد ظاهر هذا الكلام المنقول عنه ، لأنّه أمر بالتحفّظ بلفظ الضاد أيّاً كان موقعها من الكلمة ، وأيّا كان الحرف المجاور لها[٣] ، وأمر ببيان الضاد من الظاء[٤] ، فيجب أداؤه على وجه يتميز به عن الظاء عند كل السامعين مهرة وغيرهم[٥] ، وصرح بأن النطق بالضاد ظاء أو

---

(١) قضية الضاد فى التراث اللغوى ـــ رسالة ماجستير ص ٢٣٦ .

(٢) رسالة الأزميرى ورقة ٥ ا .

(٣) الرعاية ورقة ٤٤ ب .

(٤) الرعاية ورقة ٤٥ ا .

(٥) الضاد وأحكامها للقونوى ورقة ٢ ب .

ذالا تغيير وإخراج للضاد عن نهجه العربى الصحيح[1] ، ونصّ على أن الضاد لها مخرجها الخاص بها[2] ، وأنها تنفرد بصفة الإستطالة[3] ، وصرح ابن جنىّ أنّ أصوات الحروف تختلف وتتباين باختلاف مخارجها وتتميّز بها عن غيرها[4] ، ومن ثم يلزم من اختلاف مخرجى الضاد والظاء اختلاف صوتيهما وعدم تشابهما فى السمع ، لأن الحروف إذا خرجت من مخارجها لم يشارك صوتها شيئاً من غيرها فهى تميزها وتعرف مقدارها كما يفعل الميزان[5] ، فالمخرج كاف فى تمييز الحروف الغير مشتركة فلم يضطر فى تمييزها عن غيرها إلى الصفة وأمّا المشتركة فالمخرج فيها ليس مميز لذواتها وإن كان مبيّناً لمقاديرها فاضطر إلى الصفات معها لتمييز ذواتها[6] .

أما قول مكى رحمه الله عند وصفه لنطق الضاد : فيظهر صوت خروج الريح عند ضغط حافة اللسان لما يليه من الأضراس عند اللفظ بها .

فبيان ذلك :

ما ذكره العلماء أنّ من الحروف حروفا — عند الوقوف عليها — يخرج معها صويت يشبه النفخة ، وأنّ هذه الحروف متفاوتة

---

(١) الرعاية ورقة ٤٥ ا .

(٢) الرعاية ورقة ٤٤ ب .

(٣) الرعاية ورقة ٢٦ ا .

(٤) سر صناعة الإعراب ١ / ٦ ، ٩ .

(٥) لطائف الإشارات — القسطلانى ١ / ١٩٦ نقلا عن الجعبرى .

(٦) حاشية الإسقاطى ورقة ١٤ ا. وانظر قضية الضاد. رسالة ماجستير ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

فى قوة هذه النفخة وضعفها ، وأن منها ما يعسر على السامع إدراك صويت هذه النفخة فيها كما فى حرف الضاد ، وحرف الراء .

قال سيبويه (فى باب الساكن الذى يكون قبل آخر الحروف فيحرّك لكراهتهم التقاء الساكنين) : واعلم أنّ من الحروف حروفا مشربة ضغطت فى موضعها وهى حروف القلقلة ، ومن المشربة حروف إذا وقفت عندها خرج معها نحو النفخة ولم تضغط ضغط الأولى وهى الزاى والظاء والذال والضاد لأنّ هذه الحروف إذا خرجت بصوت الصدر انسلّ آخره ، وهو قد فتر من بين الثنايا لأنّه يجد منفذاً نحو النّفخة ، والضاد تجد منفذا من بين الأضراس[1] (يعنى التقاعير التى فيها) ولو وضعت لسانك فى مواضع الأربعة لأسقطت النفخة فكان آخر الصوت حين يفتر نفخا ، والراء نحو الضاد ، واعلم أن هذه الحروف التى يسمع فيها الصوت والنفخة فى الوقف لا يكونان فيهنّ فى الوصل إذا سكن لأنك لا تنتظر أن ينبو لسانك ولا يفتر الصوت حتى تبدأ صوتا[2] .

وسلك مسلكه ابن جنّى فعالج الحروف من هذه الجهة تحت مصطلح المشربة[3] : والمشربة الزاى والظاء والذال والضاد والراء ، والمشربة حرف يخرج معه عند الوقف عليه نحو النفخ إلّا أنّه لم يضغط ضغط المتقلقل ، ألا ترى أنك تسمع فى الوقف عليه نبرة[4] ، لأنّك

(١) الكتاب لسيبويه ٢ / ٢٨٤ .

(٢) الكتاب لسيبويه ٢ / ٤٨٥ .

(٣) سر صناعة الإعراب لابن جنى ١ / ٧٣ ــ شرح الشافية للجاربردى ٣ / ٢٦٣ .

(٤) الممتع فى التصريف لابن عصفور ٢ / ٦٧٥ ، ٦٧٦ .

أخرجت اللسان عنها إلى صوت آخر فجاءت بينه وبين الإستقرار وهذه الحروف بعضها أشد حصرا من بعض(١) .

وحذا حذوه أبو حيان فى كتابه ارتشاف الضرب فقال فى حديثه على صفات الحروف : المشربة الزاى والظاء والذال والضاد والراء أ . هـ(٢) .

وخلاصة القول أن الضاد العربية عند الوقف عليها يخرج معها من بين الأضراس شبه النفخة ، وأن الزاى والظاء والذال تشارك الضاد فى هذه الخاصّية النطقية ، إذ يجدن عند الوقوف عليهن منفذا بين الثنا' . ولكن خروج مثل النفخ مع الضاد قليل ، وليس كخروجه مع هذه الأحرف الثلاثة ، كما هو مفاد من قول سيبويه : « والراء نحو الضاد »(٣) وقول ابن جنّى : « والراء شبيهة بالضاد »(٤) .

ولا شك أن خروج مثل النفخ مع الراء قليل جداً بل لا يكاد يحسّه الناطق(٥) .

أما قولهم بأن الإشتراك فى أكثر الصفات يوجب التناسب فى

---

(١) التذيل والتكميل لأبى حيان ٦/٢١٨ ب .

(٢) ارتشاف الضرب (رسالة دكتوراه) ص ٦ .

(٣) الكتاب لسيبويه ٢/٢٨٤ .

(٤) سر صناعة الإعراب ابن جنّى ١/٨٣ .

(٥) انظر قضية الضاد فى التراث اللغوى العربى — رسالة ماجستير كلية اللغة العربية — قسم أصول اللغة الباحث/ أحمد عبد التواب — المكتبة المركزية رقم ٧١٠ ص ٦٥ .

السمع واستدلالهم على ذلك بما صرح به الجعبرى بأن الضاد والظاء أكثر الحروف تناسبا فى الصفة ، يجاب عنه بأن الضاد أشبه الحروف بالسين ، لأنها من مخرجها وفيها من الصفير والهمس مثل ما فى السين[١] ، مع هذا هما مختلفان فى السمع كما صرح بذلك مكّى فى الرعاية[٢] ، وكذا الطاء ليس حرف أقرب إليها ولا أشبه بها من الدال[٤] ، وليست الدال كالطاء فى السمع[٣] ، إذا من الثابت أن ليس المشبه بشيء مثله فى كل أحواله[٥] ، ومن ثم فلا يلزم من الإشتراك فى أكثر الصفات التناسب فى السمع وبان بذلك أن لا تشابه فى أصل اللغة بين الضاد والظاء فى السمع[٦] .

فإن قال قال: لقد ذكر العلماء أن فى الضاد تفشيا قليلا فما قولك ؟ فنقول وبالله التوفيق :

إن التفشى ليس من صفات الضاد المجمع عليها ، فإن مع العلماء من عدّها متفشية ومنهم من لم يعدها كذلك ، والذين قالوا بتفشيها ذكروا أنها تتفشى حتى تتصل بمخرج اللام لا بمخرج الظاء ، فهى بالإشتباه باللام أولى ، ثم إن العلماء قد فرقوا بين تفشى الضاد وتفشى الشين ، وبينوا أن تفشى الضاد يحمل معناً مختلفا عن معنى التفشى

---

(١) الرعاية لمكى بن أبى طالب ورقة ٥٥ ا .
(٢) الرعاية لمكى بن أبى طالب ورقة ٥٣ ا .
(٣) الكتاب لسيبويه ٢/٤١٦ .
(٤) الكتاب لسيبويه ٢/٤١٧ .
(٥) غنية المريد للقلقيلى ورقة ٥٨ ب .
(٦) قضية الضاد ــ رسالة ماجستير ص ٢٣٦ .

بالنسبة للشين ، فهو للضاد اتساع مخرج وللشين انتشار صوت وريح[١] .

لذا يقول صاحب رسالة قضية الضاد :

ولقد فرق الجعبرى بين تفشى الشين وتفشى الضاد ، فقال : والتحقيق أن الضاد انتشر بمخرجه وذاك (يعنى الشين) انتشر بصوته ا. هـ[٢] .

أى أن الشين انتشر فى الفم بصوته ، أما الضاد فقد انتشر مخرجه لا صوته .

ثم قال : والأولى ألا يعد الضاد من حروف التفشى لأن المراد من التفشى فى هذا الباب كما قال ابن الجزرى : هو كثرة انتشار خروج الريح ، وهذا غير ظاهر فى الضاد لأن النفس عند النطق بالضاد لا ينتشر فى جنبات الفم كما هو الحال فى الشين بل يقتصر فى تسربه إلى الخارج على ما بين الحافة والأضراس[٣] .

فإن قيل: إن اللام والنون مع كونهما من حروف التوسط إلا

---

(١) قال العلامة الأزميرى : إن تفشى الضاد ليس مثل تفشى الظاء بناء على ما نقل عن مكى أن المراد من تفشى الضاد اتصالها بمخرج اللام ، وقال الجعبرى بعد بيان تفشى الشين والظاء والثاء : وحكى عن بعض الضاد ، أى تفشيها — ثم قال : والتحقيق أن الضاد انتشر بمخرجه وذاك بصوته ، ثم صرح بأن التفشى صفة قوية ا. هـ . رسالة الأزميرى ورقة ١٤ .

(٢) شرح الشاطبية للجعبرى جـ٢/ ورقة ٣١١ ا .

(٣) قضية الضاد فى التراث اللغوى — رسالة ماجستير ٦٨ .

إنك إذا رمت تطويل الصوت بهما طال الصوت معك ، أما الضاد التى تنطقها إذا رمت تطويل صوتها لم تتمكن من ذلك مع كونها رخوة والرخو أولى من المتوسط فى جريان صوته .

فيجاب عن ذلك بما ذكره الشيخ المرعشى فى شرح جهد المقل حيث قال : « واعلم أن جريان الصوت فى البينية دون جريانه فى الرخو لكن جريانه فى ثلاث منها ليس فى المخرج وهى النون والميم واللام ، أما الأوليان فالجارى فيهما الغنة وهى تجرى فى الخيشوم واللسان لاصق فيهما لموضع الحرف فإذا أمسكت أنفك لم يجر منهما صوت البته ، كذا قاله على القارى ، وأما اللام فاللسان لاصق فيها لموضعه وإنما يجرى الصوت من الطرفين المجاورين للمخرج ا . هـ .

أما الضاد فبالرغم من كونها رخوة إلا أنها امتازت عن مثيلاتها فى الرخاوة بالإستطالة وقد علمت أن المستطيل لا يبلغ قدر ألف وأنك إذا رمت تطويل صوتك به لم يمكن كما صرح بذلك العلامة أحمد الاسقاطى .

أما قول بعضهم : إنه يتحتم عدم إلصاق اللسان بالأضراس عند النطق بالضاد متعللا لذلك بأن ابن الجزرى قال فى مقدمته: والضاد من حافته إذ وليا الاضراس من أيسر أو يمناها .. فهم يزعمون أن كلمة « ولى » تعنى عدم إلصاق اللسان بالأضراس وهو تأويل فاسد لغوياً وتجويدياً ، وليس من شرّاح الجزرية من قال بهذا القول ، وكلّ من وصف هيئة النطق بالضاد تفصيليّا ذكر فيها أنّ القارىء يلصق لسانه بأضراسه ومنهم مكى بن أبى طالب حيث ذكر فى رعايته أن حافة

اللسان تنضغط على الأضراس عند النطق بالضاد[1] .

وقال أحمدَ العفيف فى المواهب المكية :

والثامن — (يعنى من المخارج) — وهو بعيد مخرج الياء مما يحاذيه من إحدى حافتي اللسان مع ما يحاذيه من الأضراس العليا ، ومبدأه من نصف الطاحن الأول مما يلى الطاحنين إلى الضاحك ، وطريق إخراجه بأن تلصق الحافة المذكورة بالأضراس المذكورة على الحدّ المذكور إلصاقا لطيفا لا عنيفا مع انطباق اللسان بما يحاذيه من الحنك الأعلى مع فراغ نهاية طرف اللسان مع انفراج لطيف فى الفك بحيث ما يقتضيه الطبع بسهولة من غير تعسف وإفراط أو تفريط ، وكذا سائر الحروف ينبغى أن يكون بل يلزم إخراجها من مخارجها المعلومة من غير اعتمال (اعتماد) العضو فى مكان آخر بكمال حصر صوت الحرف عند اعتماده على مخرجه المعلوم مع سهولة فى الفك بلا صعوبة إذ هى علّة الإفراط ، وبلا قصور عن مخرجه إذ هو علة التفريط وكلاهما مذمومان إلا لغرض صحيح ا. هـ[2] .

وقال الحافظ إسماعيل القونوى :

ونحن معاشر أصحاب التواتر (أى المتلقين بالنطق المتواتر لألفاظ القرآن الكريم) نخرج الضاد من حافة اللسان ، وحافة اللسان ينطبق عليها الأضراس التى هى الطواحن ، وباقى اللسان ينطبق عليه الحنك

(١) الرعاية — لمكّى بن أبى طالب — مخطوط بالمكتبة الأزهرية رقم (٢٩٢) ٢٢٢٩٩ قراءات ص ١٥ .

(٢) المواهب المكية فى تعريب الأدائية لأحمد العفيف ورقة ١٥ ، ٥ ب .

مع مراعاة صفاتها من استطالة والرخوة وغيرها[١] .

وقال الشيخ على المنصورى : إن الضاد والظاء وإن اشتركا فى الإطباق لكنه فى الضاد ينطبق على حافة اللسان الأضراس وباقى اللسان ينطبق عليه الحنك بخلاف الظاء فإنه ينطبق الحنك على مخرجه كما قال الرضى ا. هـ[٢] .

فإن قال قائل: قال ابن الجزرى رحمه الله فى مقدمته :.

والضاد باستطالة ومخرج ميّز من الظاء .. إلخ فهذا دليل على أن بينهما تشابه فى اللفظ وإلّا لما طلب من القارىء أن يحرص على بيان كل منهما من الآخر ، فكيف يستقيم ذلك مع قولك : إنه لا شبه بين الضاد والظاء ؟

فنقول وبالله التوفيق: إنّ الإستدلال بهذا البيت من المقدمة على أن الضاد تشتبه بالظاء فى السمع من باب تحميل الألفاظ مالا تحتمله من المعانى ، بل لا أكون مبالغا إن قلت : إنه من باب قلب الحقائق واتباع الهوى بتطويع نصّ لخدمة فكرة معينة جاء هذا النصّ نفسه لإبطالها ، وهو سبيل من أعيته الحيلة فى أن يأتى بدليل ظاهر لإثبات ما يدعيه فأخذ فى تتبع المتشابهات من أقوال العلماء ليضيفها ــ بغير

---

(١) الضاد وأحكامها للحافظ إسماعيل محمد القونوى ورقة ١٤ ا مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٦٠ قراءات ــ طلعت

وانظر رسالة قضية الضاد ص ٧٩ .

(٢) رد الإلحاد فى النطق بالضاد ورقة ٥ ب .

حق — إلى رصيد أدلته ليلبِّس بها على الناس ، فيزعم أن ابن الجزرى يقول بقوله من اشتباه الحرفين فى السمع .

ولكنّ الحق دائماً — والحمد لله — أبين من أن تطمس معالمه فليس فى كلام ابن الجزرى رحمه الله ما يُفهم أن النطق الصحيح للضاد أن تكون شبيهة بالظاء فى السمع إذن لصرّح بذلك تصريحاً بيِّنا بلا شبة ولذكر ذلك واضحاً فى كتبه وما أكثرها ، فإنه لا يليق بإمام محقق كابن الجزرى أن يعلم الحق فى نطق أحد الحروف القرآنية والتى يترتب على صحّة النطق به صحّة الفاتحة التى هى ركن من أركان الصلاة ، ولا يصرّح ولو مرّة واحدة فى أى من مؤلفاته الكثيرة — لا هو ولا غيره من العلماء — بأن الضاد الفصيحة هى المشتبهة بالظاء ، ويكتفى بذكر بيت قد يحتمل هذا المعنى وقد لا يحتمله[1] ، والواقع أنه لا يحتمله ، فلم يقل أحد من شرَّاح الجزرية إن هذا البيت هو الدليل على اشتباه الحرفين . فالإستدلال به من بنات أفكار أصحاب هذه الضاد الضعيفة ليعضدوا موقفهم وليواجهوا من خالفهم فى دعواهم بأنه ليس بأعلم من ابن الجزرى الذى نسبوا إليه قولاً هو منه برىء .

بل الذى صرّح به ابن الجزرى رحمه الله ، أن حرف الضاد حرف عسير على اللسان وأن كثيراً من الناس لا يجيدون النطق به فمنهم من يجعله ظاء خالصة ومنهم من يجعله لاماً مفخمة ومنهم من يخرجه ممزوجا بالطاء المهملة ، وليس فى ذلك كلّه دليل على اشتباه

---

(١) والدليل إذا تطرق إليه الإحتمال سقط به الإستدلال

اللفظ بالحرفين وإلا لصرّح به ، بل مفاده أن يحترز الإنسان من الوقوع فيما وقع فيه هؤلاء من اللحن فى حرف الضاد بأن يحقق مخرجه وصفاته تحقيقاً دقيقاً ، وهذا ما قصده بقوله: « باستطالة ومخرج ميّز » فقوله: « ميّز » معناه : افصل وغاير بينهما فى النطق لأن لكل مخرجه وصفته ، ولم يقل أحد من الأولين ولا الآخرين أن معنى كلمة « ميّز » أى قارب بينهما فى اللفظ حتى يلتبس كل منهما بالآخر فى السمع ، فهذا ولا شك من باب قلب المعانى والتعنُّت فى استخراج دليل مما لا دلالة فيه ، فهذا البيت من المقدمة عليهم وليس لهم ، وإلا : فليأتونا باسم عالم واحد استدل بهذا البيت على ما استدلوا هم عليه ، وبالطبع لن يجدوا ولو بحثوا مائة سنة .

فإن قيل:إن لم يكن بين الضاد والظاء تشابه فى السمع كما تزعم فلماذا اختص الظاء بالذكر دون بقية الحروف التى ذكرتها ؟

فالإجابة على ذلك من وجوه :

أن هذا النظم كما اسماه مؤلفه ابن الجزرى رحمه الله « المقدمة فيما على قارئه أن يعلمه » فالمقدمة ـــ على علوّ شأنها ـــ لا تتعدى كونها مقدمة ومدخل إلى علم التجويد وإلا فالذى لم يذكره ابن الجزرى فى مقدمته من الأحكام التجويدية بتفصيلاتها الموجودة فى المطولات يبلغ قدر ما ذكره عشرات المرات ، فلذلك فقد اكتفى فى مقدمته بما هو بالغ الأهمية ، وترك التفصيل وبقية الأحكام اكتفاء بذكرها فى كتبه وكتب غيره .

ولا ينبغى أن ننسى أن المقدمة الجزرية ما هى إلا نظم وأبيات

ومعلوم ما يتطلبه هذا النظم من الإختصار وتناسق الألفاظ وسهولة المعانى ، فلا يعقل أن يذكر حرف الضاد والحروف التى اختلط صوت الناس فيها فأبدلوها بها أو أشربوها صوتها فيفرق بينهم واحداً واحدا ، فيقول تارة : والضاد باستطالة ومخرج ميّز من الظاء ، وتارة أخرى : والضاد باستطالة ومخرج ورخاوة ميّز من الطاء ، ويقول فى ثالثة:والضاد باستطالة ومخرج وإطباق واستعلاء ورخاوة ميّز من الدال ، وهكذا حتى يستوعب جميع الحروف التى صرّح بأنها منطوقة من بعض الناس بدلاً من الضاد ، ومعلوم ما فى هذا من تطويل ، وصعوبة على المبتدىء فى تناول أحكام التجويد ، فهو رحمه الله قد اكتفى بذكر الظاء كمثال لبقية الحروف التى ذكرناها وترك بقية الحروف ليذكرها خارج النظم فى كتبه ، أولاً : حرصاً منه على الإختصار والسهولة بالاكتفاء بالجزء عن الكلّ ، وثانياً : وهو الأهم أن أكثر من استمع إليهم يلحنون فى حرف الضاد كانوا يبدلونها ظاءً خالصة أو تشتبه عليهم بالظاء ، فأعطى لها الصدارة وأنزلها دون غيرها هذا المنزل من قصيدته بل وأتبع ذلك بذكر الكلمات التى وردت فى القرآن بالظاء ليعلم أن ما عداها يُقرأ بالضاد الخالصة .

لذا يقول صاحب رسالة قضية الضاد :

إن منشأ الإلتباس بين الضاد والظاء والذى كان حافزاً لعدد غير قليل من العلماء على حصر الألفاظ التى بالضاد والتى بالظاء ليس هو شدة مشابهة الضاد بالظاء فى أصل اللغة واشتراكها معها فى السمع بحيث لا يميز بينهما إلا مهرة أهل الأداء كما ادُّعِىَ ، وإنما الإلتباس بين

الصوتين ناشىء عن التقصير فى النطق بالضاد على وجهها الصحيح لصعوبة هذا الحرف على من لم يدرب به كما صرح بذلك مكى بن أبى طالب فى الرعاية(١) ، كما أن هذا العمل وذلك الحصر الذى قام به العلماء للكلمات التى بالضاد والتى بالظاء يحمل فى طيّه التحذير من وضع أحد الحرفين مكان الآخر لما يترتب على ذلك من تغيير المعنى وقلبه فى كثير من الأحيان ، ويحمل فى طيّه أيضا ذمّ مرتكبه ، لما بين الحرفين فى أصل اللغة من بون بعيد ، فاللغويون وروّاد الأداء القرآنى قاموا بهذا العمل ليكون أساساً يحتذيه ونبراسا يهتدى به من يخفَ عليه هذا الفرقُ ويلتبس عليه الأمر ليخلّصه من الإضطراب والتناقض ويأخذ بيده إلى الطريق الواضح المعالم والسمات لا لبس فيه ولا غموض ولا خلط ولا اضطراب ، فهذا المسلك من أئمة اللغة إنما كان لمعالجة انحراف شاع فى ألسنة بعض الناس تسرب إليهم من العجم ولم يكن الدافع إليه أن الطبيعة الصوتية للضاد فى أصل اللّغة تقتضى مشابهتها للظاء فى السمع ، بل لا يقول هذا إلا مبطل للحقائق ومشكّك فى الحسيات(٢)

وأما عن القول بأن أهل مكة ينطقون بالضاد شبيهة بالظاء ، فقال صاحب هداية الطلاب : هذا كذب صريح وباطل فى ذاته ، فانظروا وجرِّبوا ، التجربة شاهد ، وإنّى قد جرَّبت فوجدت كثيراً منهم ينطقون هكذا ــ يعنى ينطق بالضاد غير مشوبة بصوت حرف

---

(١) الرعاية ورقة ٤٤ ب .

(٢) قضية الضاد فى التراث اللغوى رسالة ماجستير ص ٢٣٢ .

آخر ــ ودخلت مكة والمدينة سنة سبع وثلاثين بعد مائة وألف ثم دخلتها مرة أخرى فى تسع وأربعين بعدهما ، وسمعت القرآن من أئمتها وقرائها وحفّاظها وجرّبْتُ كلام أهلها فوجدتهم ينطقون بالضاد الخالصة[1] .

فإن قالوا : لقد ذكر ابن الجزرى رحمه الله أن حرف الضاد حرف عسير على اللسان بينما الضاد التى تريدنا أن تنطق بها يسيرة فى النطق فيما نرى فما قولكم ؟

فنقول وبالله التوفيق : إن هذا من فضل الله علينا ورحمته أن تكرم علينا ومنحنا لساناً عربياً مبينا نستطيع به أن ننطق الحروف بكل يسر ، ونجوّد القرآن بكل براعة ، وبدلاً من أن نشكر الله تعالى على ما فطرنا عليه من فصاحة البيان وقوامة اللسان ، تركنا ما نحن عليه من سهولة النطق بهذا الحرف وصرنا نحاكى الأعاجم ومن ضعف لسانه من العرب فى نطقهم بحجّة أن ابن الجزرى ذكر أنه حرف عسير ، حتى وإن يسّره الله علينا ، نعسّر نحن على أنفسنا ظنّا منّا أنّ هذا الحرف لا يكون إلّا عسيرا ، ولا يمكن له أن يكون يسيراً ، وإن صار يسيراً شككنا فى أمره وقلنا : ليس هذا بحرف الضاد فإن حرف الضاد ذكر ابن الجزرى أنه حرف عسير فى النطق ، وهذا والله من أعجب أساليب الإستدلال ومن أبعدها عن المفهوم الحقيقى للكلام ، بل المفهوم الحقيقى لكلامه رحمه الله أنّ من النّاس

---

(١) هداية الطلاب فى النطق بالضاد على سبيل الصواب ورقة ١١أ ، ١٦ب وانظر رسالة قضية الضاد فى التراث اللغوى ص ٢٣٢ .

من لايتمكّن من النّطق به على الصورة الصحيحة ، وهم أغلب العجم وبعض أحياء من العرب ، وليس معناه أن هذا الحرف عسير على الجميع فإنه لا يعقل أن الله قد أنزل فى كتابه حرفا ليعجز به الناس وليوقعهم به فى اللحن تعالى الله عن ذلك ، فإن هذا مناف لقوله تعالى ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ ، بل هو حرف يسير على من يسّره الله عليه ، وهم كثيرون حتى يظل التواتر قائما ، وهم الذين فطرهم الله على السجية العربية الفصيحة ، وهذا ما صرّح به ابن الجزرى رحمه الله نفسه فى التمهيد حين قال : واعلم أن هذا الحرف خاصة إذا لم يقدر الشخص على إخراجه من مخرجه بطبعه لا يقدر عليه بكلفة ولا بتعليم ا. هـ[1] .

فالشاهد من قوله : « بطبعه » أن هناك من فطره الله على الفطرة العربية فهو ينطق الضاد بفطرته سهلة عذبة بلا تكلّف ولا تعسّف وأن منهم من يعجز لسانه عن نطقها حتى بعد أن يُبيَّن له الصواب فيها .

بل قد زاد الصفاقسى أن الذين يصعب عليهم نطق الضاد يمكنهم أن ينطقوا بها صحيحة لو عُلِّموا[2] ، وفى قوله هذا دلالة على أن هذا الحرف وإن كان صعبا على البعض فى بداية الأمر إلاّ أنه بالتعليم والممارسة يصير بعون الله سهلاً على ألسنتهم تحقيقاً لوعده تعالى من تيسير قرآنه للذكر .

---

(١) التمهيد ١٣١ .

(٢) تنبيه الغافلين ـ ٨٧ .

فمن هذا يظهر أن قول ابن الجزرى وغيره إنّه حرف عسير على اللسان ليس معناه أن نتعمد تعسيره على أنفسنا وأن نتشنّج أثناء النطق حتى نشعر بعسر ومشقة ، فعندئذ نسعد ونهلّل لأننا قد أفلحنا فى جعل أحد الحروف اليسيرة علينا بالفطرة حرفاً عسيراً لمجرد أن نوافق ما قد كتب فى حق غيرنا ممن عسر عليه النطق به ، ولكن معناه الحث على العمل على إخراجه من مخرجه الخاص به كما فعلوا فى الحث على ضبط مراتب المدود وكيفية الإختلاس فى الحركات فى بعض الروايات والإشمام بأنواعه بين حركتين أو حرفين وتسهيل الهمزات بالمعنى المقرر فى الأداء ونحو ذلك مما لا يحكم إلاّ بالمشافهة والسماع من لفظ الشيخ المتقن(١) .

فإن قالوا : لقد صرح ابن الجزرى فى التمهيد بأن أكثر المصريين لا يوصلون الضاد إلى مخرجها بل يخرجونها دونه ممزوجة بالطاء ، فاللسان المصرى فيه لحن فى الضاد فما قولك(٢) .

---

(١) رسالة الشيخ / الضبّاع ص ٤ .

(٢) التمهيد ص ١٣١ .

قال فى رسالة ضاد : وجواب قولك نقرأه كالطاء المهملة من طرف اللسان كالمصريين أخذاً من كلام ابن الجزرى فى تمهيده ، خطأه فى قوله هذا ، لأنّ هذه الدعوى غير مسلّمة وإن صدرت عنه ، لقوله تعالى ﴿ **إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون** ﴾ ولقوله عليه السلام: « لا تجتمع أمّتى على الضلالة » ، كفى بالمرء نيلا أن تعدّ معايبه ، قال على القارى فى شرحه للجزرية : إنّ المصنّف صنّف التمهيد أوّلاً فى سنّ البلوغ والعمدة على النّشر فإنّه وقع آخرا ، وهو الحق كما جزم به القسطلّانى انتهى . وكذا صرّح ابن الجزرى فى نشره بقوله : وهو ممّا ألفناه حال اشتغالنا بهذا العلم فى سنّ البلوغ انتهى . وإذا كان صنّف التمهيد أوّلاً فى سنّ البلوغ وولادته بدمشق سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة فيُبعد أن يكون رأى مصر قبل تأليفه،وقول على المقدسى: ألّفه=

= بالقاهرة المُعزّيّة غير مرضية، ليست لأحد مَعْزية، فيكون المراد بأكثر المصريين الذين في بلاده كالحمّارة والجمّالة ونحوهما ، وأمّا حملة المصريين فيبعد نسبة الغلط إليهم ، قال عليه السلام : أشراف أمّتي حملة القرآن . على أنّا نقول : ذكر في طبقات القرّاء بأنّه ولد في التاريخ المذكور ، وأنّه رحل إلى الديار المصرية في سنة تسع وستين ، فجمع القراءات الأثنى عشر على الشيخ/ أبى بكر عبد الله بن الجندى ، والسبعة على العلّامة/ أبى عبد الله محمد بن الصايغ ، والشيخ/ أبى عبد الرحمن البغدادى ، ثمّ رجع إلى دمشق ، ورحل رحلة ثانية فجمع على ابن الصايغ للعشرة وابن محيصن والأعمش والحسن البصرى ، وسمع الحديث ممّن بقى من أصحاب الدمياطى ، ثمّ عاد إلى دمشق ، ثمّ رحل إلى الديار المصرية وقرأ بها المعانى والبيان ، ورحل إلى الإسكندرية فسمع من أصحاب ابن عبد السلام وابن نصر وغيرهم كثيراً من كتب القراءة بالسّماع والإجازة انتهى .

وصرّح في نشره أيضا في إسناد كتاب التيسير والشاطبية والعنوان والهادى والهداية والتجريد ومفردة يعقوب والتلخيص والإعلان وكتاب البستان تأليف شيخه ابن الجندى وغيرها بأنّه قرأ هؤلاء الكتب في الديار المصرية على شيوخ كثيرة فأجازوا له ا . هـ ملخّصاً ، ثمّ رحل بابنه الكبير في ثمانه وثمانين بعد سبعمائة فأخذ الإجازة له بعد قراءته من أبى الفتح محمد بن أحمد بن القسطلّانى آخر أصحاب ابن الصايغ القراءات الأثنى عشر بمضمن عدّة كتب ثمّ رحل رحلة خامسة بابنه الصغير فسمع الشاطبيّة من إبراهيم الشامى ، وما صرّح بتاريخ هذه الرحلة ، لكن صرّح بتاريخ ولادته وهو تسع وثمانين وسبعمائة ، فلا أقلّ من ثمانمائة ، وهذا من طبقاته أيضا ، انظر أيها الطالب للحق كيف كان أحوال ابن الجزرى أكثر ما أستفاده من علوم القرآن ووجوهه وترتيله وتجويده من مشايخ القرّاء المصريين كما عرفت ، وكيف تواضع وأنصف وتأدّب حتى رحل بابنه الكبير مرّة والصغير مرّة أخرى ، وأخذ لهما الإجازة عنهم كما أخذها لنفسه ، وكيف استيقن أحوال حفظته وقرّائه ، وهم استيقنوا أحواله وأحوال أولاده ، وقد عرف قدرهم وهم عرفوا قدره ، واستفادوا منه واستفاد منهم أعظم فوائد ، ومدحوه بأبلغ أشعار وقصائد ، فجزاهم الله عنّا خير الجزاء .

ولهذا تاب ورجع عمّا قاله في تمهيده من مزج الضاد المعجمة بالطاء المهملة حتى =

فنقول وبالله التوفيق : عبارة ابن الجزرى بنصّها كما فى التمهيد هى : ومنهم من لا يوصلها إلى مخرجها بل يخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهملة لا يقدرون على غير ذلك ، وهم أكثر المصريين وبعض أهل المغرب ا. هـ

فابن الجزرى رحمه الله يأخذ على المصريين وبعض أهل المغرب أنهم يخرجون الضاد ممزوجة بالطاء المهملة ، ويرجع ذلك لعدم قدرتهم على غير ذلك ، وعلى الرغم من أن كلام ابن الجزرى هذا ليس له مجال لتطبيقه على المصريين فى هذه الأيّام لأنّه ليس فيهم من ينطقها ممزوجة بالطاء المهملة ، بل الذى يشاع عنهم الآن أنهم ينطقونها دالا مفخمة ، إلا أننا سنذكر تعقيب الإمام الصفاقسى على كلام ابن الجزرى السابق ثم نتبعه بالردّ على من زعم أنّ المصريين ينطقون الضاد كالدال المفخمة .

قال العلامة الصفاقسى فى تنبيه الغافلين تعقيباً على كلام ابن الجزرى السابق : « وفى قوله : «لا يقدر» صوابه لا يعرف ، إذ من المعلوم أنهم غير عاجزين عن ذلك بل لو علّموا لتعلّموا ، وقوله : «وبعض أهل المغرب» يريد الأقصى وأما الأدنى فإنهم يبدلونها ظاء معجمة كما تقدم وليس هذا مختصا بأهل مصر والمغرب بل يفعله كثير

= بلغ رتبة كانت نسياً منسياً ، وترك فى نشره بل لم يعزها لأحد قط فيه ، ولذلك لم يدخله فى مؤلفاته فى طبقاته فانظره ، وتوفى رحمة الله عليه بشيراز سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة على ما ذكره النويرى ، إذا علمت هذا فقول المرعشى أخذا من كلامه فى تمهيده : ولعلّ غلط المصريين قد شاع ، فى غاية من السقوط ا. هـ .

رسالة ضاد للحاج / محمود ورقة ١٧ ، ب ورقة ١٨ ، ب .

من الناس ممن يدعى العلم ومعرفة التجويد لأنه ميسر على اللسان لأن الحرفين متقاربان واشتركا فى الصفات ولولا اختلاف المخرج وما فى الضاد من الإستطالة لكان لفظهما واحدا ولم يختلفا فى السمع ا. هـ[1].

فيؤخذ من كلامه رحمه الله أن المصريين[2] غير عاجزين عن النطق بالضاد صحيحة ، بل لو علّموا لتعلّموا ، وهو بالفعل ما حدث فلم نعد نسمع من أحدهم الآن ضادا ممزوجة بالطاء المهملة ، بل صاروا ينطقونها صحيحة لمجرد أن وجدوا من يلقنهم إياها على الوجه المرضى السليم من شيوخهم المصريين أيضا الذين رحل إليهم ابن الجزرى وغيره من العلماء ليتلقّوا عليهم ولينهلوا من بحار علمهم .

ويؤخذ من كلامه رحمه الله أيضاً أن من نطق بالضاد من مخرجها المنصوص عليه مع اعطائها الإستطالة التى اختصت بها فإن لفظ الضاد حينئذ لا يكون مشتبها فى السمع بالظاء ومن قصّر فى ذلك اشتبه عنده الحرفان فى السمع ، ويؤخذ ذلك من قوله : ولولا اختلاف المخرج وما فى الضاد من الإستطالة لكان لفظهما واحدا ولم يختلفا فى السمع ا. هـ ولولا حرف امتناع لوجود فلما كان المخرج مختلفا والإستطالة متحققة تعيّن الإختلاف فى السمع بين الحرفين فتأمل .

أما قول من قال : إن المصريين يسمع منهم الآن دالا مفخمّة بدلا

---

(١) تنبيه الغافلين ٨٧ .

(٢) والمقصود بالمصريين هاهنا عوامهم بالطبع وليس الأساتذة المهرة المحققين .

من الضاد ، فهو من باب إلقاء التّهم جزافا بغير تحرّ ولا علم ومن باب سوء الظن بأهل القرآن الأماجد أصحاب الأسانيد العالية ، ومحاولة التعالى عليهم برواية الغرائب وتتبع التفردات ، ولا أدرى من يقصدون بقولهم:« المصريين » هل يقصدون عوام المصريين أم العلماء منهم ؟

فإن كانوا يقصدون العوام فلا يعنينا ذلك من قريب أو بعيد لأننا لا نتلقى القرآن على كل عابر سبيل أو طارق بباب ، وإن كانوا يقصدون العلماء المتخصصين المجازين الإجازات الصحيحة المشروطة بشروطها عند أهل هذا الفن فليس منهم من ينطق الضاد من طرف لسانه مع الثنيتين العلويتين بل يخرجونها من مخرجها الصحيح وهو حافة اللسان مع ما يليها من الأضراس مع اعطائها صفاتها الخاصة بها بقدرها المضبوط بلا إفراط ولا تفريط[1] . ولو أن الذين يلقون التهم ويحطّون من قدر العلماء كلّفوا أنفسهم بعض العناء بطرق أبواب أهل العلم لسؤالهم عن الضاد لسمعوا ما يشفى غليلهم ويروى ظمأهم ولكنهم ـــ وياللأسف ـــ فرحوا بما لديهم من العلم ، واستكبروا أن يستمعوا لمن خالفهم وإن استمعوا إليهم لم يعملوا بقولهم ، وربّما ذهبوا يخوضون فيهم وينتقصونهم ، حتى لا يبقى فى الساحة أحد يعى فى كتاب الله شيئا غيرهم ، وعندئذ تكون لهم الغلبة فيغتر بقولهم المبتدعون وقليلوا العلم .

---

(١) انظر دفاع العلامة المتولى عن ضاد القرّاء المصريين فى رسالة الضاد له مخطوط بمكتبة الأزهر (٣١٨) ٢٢٣٢٥ . قراءات .

فالذين يتهمون القراء المصريين بأنهم ينطقون الضاد دالا مفخمة بنوا حكمهم على أصل أصّلوه هم لأنفسهم من كون الضاد لابد وأن تكون شبيهة بالظاء فى السمع ، فكل من نطق الضاد غير مشتبهة بالظاء فهو ـــ فى حكمهم ـــ من الذين يبدلون الضاد دالا مفخمة ، حتى وإن أخرجها من حافة اللسان مع اعطائها كل صفاتها ، فلا نقاش ـــ عندهم ـــ فى أنها دال مفخمة ومن هنا صار كل قرائنا لحّانين فى تقديرهم ، لأنه ليس منهم من ينطق الضاد كالظاء ، وهذا تقدير فاسد وحكم غير صحيح لأنه مبنى على أصل باطل ، وكل ما بنى على باطل فهو باطل مثله .

فإلى الذين أساءوا إلى علمائهم ومشايخهم من المصريين أسوق نماذجا من هؤلاء العلماء من متقدميهم ومتأخريهم ليعرف الجميع من سلفهم وخلفهم من القراء المصريين الذين علّموا الدنيا بأسرها ولا يزالون هكذا والحمد لله فهم حملة القرآن وحماته ، والطعن فيهم طعن فى القرآن نفسه لأنه لا وسيلة إلى تلاوته إلا من خلالهم فكل أسانيد الدنيا فى قديم أو حديث لابد وأن يكون المصريون فيها ، ولا عجب فى ذلك ففيهم من فحول العلماء والمقرئين من تقرُّ بهم الأعين ، وتستلذ الآذان بسماع أسمائهم ، فإليك بعضهم رحمهم الله أجمعين ونفعنا بعلومهم .

فمنهم : الإمام ورش المصرى ت سنة ١٩٧ هـ ـــ والإمام سقلاب ابن شبيه المصرى ت سنة ١٩١ هـ ـــ والإمام أبو يعقوب الأزرق ـــ والإمام داود بن أبى طيبة المصرى ت سنة ٢٢٣ هـ ـــ

والإمام سليمان بن داود الرشديني المصرى ت سنة ٢٢٣ هـ ــ والإمام يونس بن عبد الأعلى ت سنة ٢٦٤ هـ ــ والإمام أبو الحسن النحاس ت سنة ٢٨٠ هـ ــ والإمام أبو بكر التجيبى المصرى ت سنة ٣٠٧ هـ ــ والإمام أبو بكر الأصبهانى ت سنة ٢٩٦ هـ ــ والإمام أبو عبد الله الأنماطى المصرى ــ والإمام أبو بكر الرازى نزيل مصر ت سنة ٣١٢ هـ ــ والإمام أبو جعفر الأزدى المصرى ت سنة ٣١٠ هـ ــ والإمام أبو جعفر الخولانى المصرى ت سنة ٣٤٠ ــ والإمام ابن أبى الأصبغ الحرانى نزيل مصر ت سنة ٣٣٩ هـ ــ والإمام أبو بكر المعافرى المصرى ت بضع وخمسين وثلثمائة هـ ــ والإمام أبو أحمد السامرى البغدادى ت سنة ٣٨٦ هـ ــ والإمام محمد بن الحسن الأنطاكى نزيل مصر ت سنة ٣٨٠ هـ ــ والإمام مظفر بن أحمد الأذفوى المصرى ت سنة ٣٨٨ هـ ــ والإمام عبد المنعم بن غلبون نزيل مصر ومقرؤها ت سنة ٣٨٩ هـ ــ والإمام طاهر بن غلبون ت سنة ٣٩٥ هـ ــ والإمام أبو مسلم الكاتب البغدادى نزيل مصر ت سنة ٣٩٩ هـ ــ والإمام خلف بن إبراهيم خاقان المصرى ت سنة ٤٠٢ هـ ــ والإمام أبو عمرو الدانى نزيل مصر ت سنة٤٤٤ هـ ــ والإمام عبد الجبار بن أحمد الطرسوسى ت سنة ٤٢٠ هـ ــ والإمام أحمد بن على بن هاشم المصرى تاج الأئمّة ت سنة ٤٤٥ هـ ــ والإمام يحيى بن علىّ أبو الحسين المصرى المعروف بابن الخشّاب ت سنة ٥٠٤ هـ ــ والإمام ابن بليّمة نزيل الإسكندرية ت سنة ٥١٤ هـ ــ والإمام عبد الرحمن ابن أبى بكر الفحّام ت سنة ٥١٦ هـ ــ والإمام ناصر بن الحسن الشريف الخطيب

ت سنة ٥٦٣ هـ ــ والإمام القاسم بن فيرّه الرعينى الشاطبى أحد الأعلام وساكن مصر ومقرؤها ت سنة ٥٩٠ هـ ــ والإمام أبو الجود اللخمى ت سنة ٦٠٥ هـ ــ والإمام عبد الصمد بن سلطان المعروف بابن قراقيش ت سنة ٦٠٨ هـ والإمام عبد السلام بن عبد الناصر المعروف بابن عديسة ت سنة ٦١٣ هـ ــ والإمام على بن على بن نجم المصرى المعروف بابن لبلان ت سنة ٦٣٦ هـ ــ والإمام أبو عمرو بن الحاجب ت سنة ٦٤٦ هـ ــ والإمام عبد الله بن محمد المصرى المعروف بابن فار اللبن ت سنة ٦٦٤ هـ ــ والإمام منصور بن سرار الإسكندرانى المعروف بالسدى ت سنة ٦٥١ هـ ــ والإمام على بن موسى المصرى المعروف بابن الرهان ت سنة٦٦٥ هـ ــ والإمام الكمال المحلى ت سنة ٦٧٢ هـ ــ والإمام المكين الأسمر ت سنة ٦٩٢ هـ ــ والإمام التقى الجرايدى ت سنة ٦٨٨ هـ ــ والإمام سحنون المالكى ت سنة ٦٩٥ هـ ــ والإمام مجد الدين على بن ظهير المصرى المعروف بابن الكفتى ت سنة ٦٨٩ هـ ــ والإمام محمد بن عبد الله الكنانى المصرى المعروف بابن الصوّاف ت سنة ٧١٥ هـ ــ والإمام محمد بن مجاهد الملقب بالورّاب ــ والإمام عبد الرحمن البغدادى ــ والإمام محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصرى المعروف بالإمام ابن الصائغ المصرى ت سنة ٧٢٥ هـ ــ والإمام موسى بن على بن سنان المعروف بالقطبى ت سنة ٧٣٠ هـ ــ والإمام محمد بن محمد بن نمير السرّاج ت سنة ٧٤٧ هـ ــ وشيخ الإسلام زكريا الأنصارى ــ والإمام على بن شجاع بن على العباسى المصرى صهر الشاطبى ــ والإمام النويرى شارح الطيبة ــ والإمام محمد القلقيلى

والشيخ العقبى ــ والإمام الناصر الطبلاوى والحافظ السخاوى والإمام شحاذة اليمنى والإمام عبد الرحمن اليمنى والإمام شمس الدين محمد بن قاسم البقرى ت سنة ١١١١ هـ والإمام أحمد بن رجب البقرى ــ والإمام الرميلى والإمام السمنودى الشهير بالمنير ت سنة ١٢٩٩ هـ ــ والإمام عبد الله الهبطى ــ والإمام المحب أبو الجوب بن إبراهيم السمديسى والعلامة شهاب الدين أحمد بن محمد السنباطى والإمام النور الشبراملسى ــ والإمام الضياء سلطان بن أحمد المزّاحى ــ والعلامة أحمد بن محمد بن عبد الغنى الدمياطى الشهير بالبنا الدمياطى صاحب اتحاف فضلاء البشر ت سنة ١١٥٩ هـ ــ والشيخ أحمد بن عمر الإسقاطى ت سنة ١١٤٣ هـ ــ والشيخ صالح الزجاجى ــ والعلامة الشيخ سليمان البيبانى ــ والشيخ أحمد سلمونة والشيخ أحمد الدرّى التهامى ــ والشيخ أحمد السجاعى ت سنة ١١٩٠ هـ ــ والشيخ أحمد الدمنهورى ت سنة ١٢٩٢ هـ ــ والشيخ عبد الرحمن بن حسن الأجهورى ت سنة ١٢٩٨ هـ والشيخ على الميهى ــ والعلامة الشيخ سليمان الجمزورى ت سنة ١١٢٤ هـ ــ والعلامة الشيخ محمد المتولى ــ والشيخ الجريسى ــ والشيخ خالد الأزهرى ــ والشيخ حسن الكتبى ــ والشيخ الخطيب الشعار ــ والعلامة الشيخ على محمد الضباع ــ والشيخ محمد خلف الحسينى ــ والشيخ خليل الجناينى ــ والشيخ عبد الفتاح هنيدى ــ والشيخ العلامة عبد الفتاح القاضى ــ والشيخ قاسم الدجوى ــ والشيخ محمد جابر المصرى ــ والشيخ الإبيارى ــ والشيخ

الطباخ ــ والعلامة الشيخ أحمد[1] عبد العزيز الزيّات حفظه الله

---

(١) هو أحمد بن عبد العزيز بن أحمد بن محمد الزيّات ، علّامة كبير وإمام فى القراءات بلا نظير ، آية الدّهر ، ووحيد العصر فى العلم والحياء والفضل والنبل ، زكىّ القلب يقظ الضمير تقى الخاطرة ، من أجلّة علماء العلوم الشرعية والعربية ، وقد نفع الله به طويلا الأمّة . ولد بالقاهرة سنة سبع وتسعمائة وألف من ميلاد عيسى ابن مريم صلى الله على نبيّنا وعليه وسلم ، والتحق بالأزهر الشريف بعد أن حفظ القرآن الكريم وحصل على كثير من العلوم العربية والشرعية ثم أخذ القراءات العشر الصغرى من طريقى الشاطبية والدّرة والعشر الكبرى من طريق طيّبة النشر عن كل من الشيخين الكبيرين الشيخ/ خليل الجناينى وفضيلة العلّامة الشيخ/ عبد الفتاح هنيدى ، وهما قد أخذا عن العلّامة الكبير شيخ مشيخة الديار المصرية فى القراءة والإقراء فى وقته الشيخ/ محمد بن أحمد الشهير بالمتولّى غفر الله له .

ثم جلس للإقراء بمنزلة بجوار الأزهر الشريف بالقاهرة وانقطع له مدة ، ثمّ اختير مدّرساً للقراءات بقسم تخصص القراءات التابع لكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف وظلّ هكذا إلى أن أحيل للتقاعد .

ومن أقرانه المبرّزين فى العلم وإخوانه المشهورين فى أسانيد إجازات القراءات فى مصر صاحب الفضيلة الشيخ/ محمد على خلف الحسينى الحدّاد شيخ عموم المقارىء المصرية ــ فى وقته ــ والعلّامة الشيخ/ على محمد الضبّاع الذى وَلىَ الشيخ/ محمد على خلف الحسينى فى رئاسة مشيخة المقارىء بالديار المصرية ، والمحقق الكبير الشيخ/ على سبيع ومن فى طبقتهم .

وذلك لأنّ أوّلهم قرأ على عمّه العلّامة الشيخ/ حسن خلف الحسينى والثّانى أخذ عن الأستاذين الشيخ/ حسن الكتبى والشيخ/ الخطيب الشعّار ، والثالث أسند عن العلّامة المحقق الشيخ/ حسن الجريسى الكبير ، وهؤلاء جميعا ــ الشيخ/ حسن خلف والشيخ/ حسن الكتبى والشيخ/ الخطيب الشعّار والشيخ/ حسن الجريسى الكبير كلّهم أخذوا القراءات عن خاتمة المحققين الشيخ/ محمد بن أحمد المعروف بالمتولّى ، فالتقت أسانيدهم مع اسناد المترجم له من هذا الوجه فصاروا أقرانه بذلك وإن تقدّمه بعضهم فى السن. وقد أفاء الله نعمته على يدى المترجم له إلى خلق كثير من الديار المصرية=

ونفع به وبتلامذته وبتلامذة من ذكرناهم من علمائنا الأفذاذ الأعلام ، رحمهم الله جميعاً وجمعنا بهم والمسلمين فى روضات جنّاته إنّه سميع مجيب .

فإلى الذين حرّفوا الضاد ، واغترّوا فيها بنطق بعض عوام العرب ممّن ضعف لسانهم عن الإتيان بالضاد بالصورة الصحيحة ، أقدّم هؤلاء الأعلام المصريين الذين حملوا راية القرآن قديماً وحديثاً ،

= وخارجها، وحصلوا منه على إجازات فى التجويد والقراءات السبع والعشر الصغرى والكبرى يخطئهم العدّ فالله تعالى يثيبه ويديم النفع به ، فمن تلامذته الذين قرأوا عليه القراءات العشر الكبرى بمضمن طيّبة النشر :الشيخ/ عبد الفتاح السيد العجمى المرصفى والشيخ/ عبد المحسن شطا والشيخ/ حسن المرّى والشيخ/ محمد إسماعيل الهمدانى والشيخ/ حسنين إبراهيم محمد عفيفى جبريل والشيخ/ على المرازقى ، والشيخ/ أحمد مصطفى، والشيخ/ أحمد الأشمونى ، والشيخ/ أحمد إسماعيل عيطة ، والشيخ/ أمين الخطيب والشيخ/ قاسم الدجوى، والشيخ/ عثمان خليفة والشيخ/ مصطفى خضر ، والشيخ/ فرج ضبّة ، والشيخ/ أيمن سويد. هذا ولا يزال شيخنا الزيّات حيا إلى الآن يقرأ القراءات لطلّابه الذين يرحلون إليه من كل أقطار الأرض لأنه أعلى القرّاء اسناداً فى مصر فى هذا العصر ، بارك الله فى عمره وعمله وأحسن حياته الأولى ومنقلبه فى الأخرى .

ملخصا من هداية القارىء للشيخ/ المرصفى ص ٦٣٤ ــ ٦٣٨ .

قلت : ولقد أكرمنى الله تبارك وتعالى برؤيته والجلوس معه واستمع فضيلته إلى رسالتى كاملة ، وكتب لنا كلمة موجزة تقريظا لهذا العمل ، وتصديقا لما فيه من الحق ، وأخبرنى ــ حفظه الله ــ أنّ القلّة المتفرّدة بالضاد الظائية لم يتلقّوها عن شيوخهم وإنّما اجتهدوا فى نطقها من مجرّد مطالعة الكتب ، وأن هذا مخالف لكل القرّاء ، والإجماع والتواتر يؤيد ضادنا الخالصة الغير مشتبهة بأى حرف آخر ؛ فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

وكانوا ولا يزالون قبلة الطلّاب والمتعلمين ، آملاً أن يراجعوا أنفسهم وأن يثوبوا إلى رشدهِم ويتوبوا إلى ربّهم ، ويرجعوا عمّا وقعوا وأوقعوا النّاس فيه من بدعة ، والحقّ أحقّ أن يتّبع .

عافانا الله والمسلمين من الإبتداع فى الدّين ، وأصلح نيّاتنا وبصّرنا بعيوبنا وألهمنا الرشد والصواب .. آمين .

وهذا آخر ما يسرّ الله تبارك وتعالى جمعه من هذه الرسالة ، نفع الله بها المسلمين ، وجعلها ذخراً لصاحبها يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم .

وصلّى الله على سيدنا محمد النّبى الأمّى وعلى آله وصحبه وسلّم ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

المصاحف المرتّلة للمشايخ محمود الحصرى وعبد الباسط عبد الصمد ومحمود البنا ومحمد صديق المنشاوى وغيرهم ، وكان تسجيلهم للمصحف أمام العلماء وبحضور المستمعين لهم كالشيخ عبد الفتاح القاضى والشيخ أحمد على مرعى والشيخ رزق خليل حبّة والشيخ شعبان محمد إسماعيل وغيرهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

أحمد على مرعى
شيخ المقارىء بوزارة الأوقاف لرعاية المصحف
ورئيس لجنة تصحيح المصاحف بالأزهر

المراجع والمصادر

المخطوطات

ـ الاقتصاد فى النطق بالضاد ـ على النابلسى ـ

دار الكتب المصرية رقم ٣٠٥ مجاميع تيمور

ـ بغية المرتاد ـ على المقدسى ـ

المكتبة الأزهرية رقم (١٨٨) ١٦٢٢٦ قراءات

ـ التحديد فى الإتقان والتجويد ـ أبو عمرو الدانى ـ

دار الكتب المصرية رقم ١٥ قراءات ـ حليم

ـ التحرير السديد بشرح القول المفيد ـ الملتجى ـ

المكتبة الأزهرية (١٣٨٨) قراءات

ـ التذييل والتكميل ـ أبو حيّان الأندلسى ـ

مصورة بجامعة فؤاد الأوّل (جامعة القاهرة)
بالمكتبة العامة رقم ٢٦٠٥٨

ـ التمهيد فى علم التجويد ـ ابن الجزرى ـ

المكتبة الأزهرية رقم (١٨٨) قراءات

ـ جهد المقل ـ ساجقلى زادة ـ

دار الكتب المصرية رقم ١٧٣ تفسير تيمور

ـ حاشية الإسقاطى على الدقائق المحكمة ـ

المكتبة الأزهرية رقم (٣٣) قراءات

ـ حاشية على جهد المقل ـ ساجقلى زادة ـ

المكتبة الأزهرية رقم(١٨٧) قراءات

ــ الدر النضيد ــ البركوى ــ
المكتبة الأزهرية رقم (٣٠٥) قراءات
ــ ردّ الالحاد ــ على المنصورى ــ
دار الكتب المصرية رقم (٢٣٢) تفسير تيمور
ــ رسالة العلامة/ محمد الأزميرى
دار الكتب المصرية رقم ٢٣١ تفسير تيمور
ــ رسالة ضاد ــ الحاج/ محمود
دار الكتب المصرية رقم ١١٩ قراءات طلعت
ــ رسالة فى الضاد ــ الشيخ يوسف أفندى زادة ــ
دار الكتب المصرية رقم ٢٥٦ قراءات طلعت
ــ رسالة فى الضاد ــ أحد تلاميذ يوسف أفندى زادة ــ
دار الكتب المصرية رقم ٢٣٢ تفسير تيمور
ــ رسالة الضبّاع فى الضاد ــ هدية من السيدة/ ثريا الضبّاع .
ــ الرعاية لتجويد القراءة ــ مكّى بن أبى طالب ــ
دار الكتب المصرية رقم ٧٨ قراءات طلعت
ــ السيف المسلول ــ
دار الكتب المصرية رقم ١١٥ قراءات طلعت
ــ شرح الشاطبية للجعبرى ــ
المكتبة الأزهرية رقم (١٥١) قراءات
ــ شرح الواضحة فى تجويد الفاتحة ــ ابن أم قاسم النحوى
المكتبة الأزهرية رقم (١٢٩٧٩) مجاميع حسونة
ــ الضاد وأحكامها ــ القونوى ــ

دار الكتب المصرية ــ رقم ٦٠ قراءات طلعت

ــ عنقود الزواهر ــ علاء الدين القوشجي ــ

دار الكتب المصرية رقم (٣٥) صرف تيمور

ــ عمدة المفيد وعدّة المجيد ــ السخاوى ــ

دار الكتب المصرية رقم (٣٠٥) مجاميع تيمور

ــ غنية المريد لمعرفة الإتقان والتجويد ــ ابن مفلح القلقيلى ــ

المكتبة الأزهرية رقم (١٣٩٣) قراءات

ــ الكافى على متن الهادى ــ الزنجانى ــ

دار الكتب المصرية رقم (٢٠٠٢) نحو

ــ كيفية أداء الضاد فى تلاوة القرآن ــ سليمان أفندى ــ

دار الكتب المصرية رقم (١١٥) قراءات طلعت

ــ كيفية أداء الضاد ــ ساجقلى زادة ــ

دار الكتب المصرية رقم (١١٥) قراءات طلعت

ــ المواهب المكّية فى تعريب تجويد الأدائية ــ أحمد العفيف ــ

المكتبة الأزهرية رقم (٢٧٦) قراءات

ــ النكت اللوذعية ــ حاشية السنيكى على الدقائق المحكمة ــ

المكتبة الأزهرية رقم (٢١٢) مجاميع

ــ هداية الطلاب فى النطق بالضاد ــ الحاج/ محمود ــ

دار الكتب المصرية رقم (١١٩) قراءات طلعت

الرسائل العلمية

ــ ارتشاف الضرب من لسان العرب ــ أبو حيّان الأندلسى ــ

(تحقيق) ـــ رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ـــ اعداد د . مصطفى أحمد خليل النماس ـــ
المكتبة رقم ١٥٥ .
ـــ **قضية الضاد فى التراث اللغوى عند العرب ـــ د . أحمد عبد التواب**
المكتبة المركزية بكلية الدراسات الإسلامية رقم (٧١٠)

المطبوعات

ـــ **أبحاث فى قراءات القرآن الكريم ـــ عبد الفتاح القاضى ـــ**
المشهد الحسينى .
ـــ **اتحاف فضلاء البشر ـــ البنّا الدمياطى ـــ**
تصحيح الشيخ على محمد الضبّاع ـــ القاهرة ـــ (بدون تاريخ)
ـــ **الإتقان فى علوم القرآن ـــ السيوطى ـــ**
ط . ثالثة ـــ مصطفى الحلبى
القاهرة ١٣٧٠ هـ ـــ ١٩٢١ م
ـــ **أحكام تلاوة القرآن الكريم ـــ الحصرى ـــ**
مطبعة الشمرلى
ـــ **ارشاد المريد ـــ الضبّاع ـــ**
صبيح القاهرة
ـــ **الأصوات اللغوية ـــ د . إبراهيم أنيس ـــ**
ط . خامسة ـــ دار وهدان ـــ القاهرة ١٩٧٩ م
ـــ **الأعلام ـــ الزركلى ـــ** ط : رابعة ـــ بيروت ١٩٧٩ م

ـ ايضاح المكنون ـ إسماعيل باشا البغدادى ـ
ط . ثالثة ـ تبريز ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٦٧ م
ـ البدر الطالع ـ الشوكانى ـ
ط ـ أولى ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٤٨ هـ
ـ التجويد والأصوات ـ د . إبراهيم محمد نجا ـ
مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م
ـ التطور اللغوى ـ د . رمضان عبد التواب ـ
ط ـ أولى ـ المدنى القاهرة ١٩٨١ م
ـ الجمع الصوتى الأول للقرآن ـ د . لبيب السعيد ـ
دار المعارف
ـ الحجة فى القراءات السبع ـ أبو على الفارسى ـ
الهيئة المصرية العامة للكتاب
ـ خلاصة الأثر ـ المحبىّ ـ
دار صادر ـ بيروت
ـ دراسات فى علم اللغة ـ د . كمال بشر ـ
دار المعارف القاهرة ١٩٦٩ م
ـ الدرر الكامنة ـ ابن حجر العسقلانى ـ
ط ـ ثانية ـ القاهرة ١٩٦٦ م
ـ روح البيان ـ إسماعيل حقّي ـ
القاهرة ١٢٧٦ هـ
ـ سر صناعة الإعراب ـ ابن جنىّ ـ
مصطفى الحلبى ـ القاهرة ١٩٥٤ م

ـ سلك الدرر ـ المرادى ـ
مكتبة المثنّى ـ بغداد
ـ شرح ابن يعيش على المفصل ـ ادارة الطباعة المنيرية
ـ شرح أبو شامة على الشاطبية (إبراز المعانى)
القاهرة ١٣٤٩ هـ
ـ شرح الجاربردى ـ على الشافية ـ الأستانة ـ ١٣١٠ هـ
ـ شرح الشافية ـ للرضى ـ مطبعة حجازى ـ القاهرة
ـ شيوخ الأزهر ولمحات عن نظامه المعاصر ـ الأزهر
ـ الضوء اللامع ـ علم الدين السخاوى ـ بيروت
ـ علم اللغة العام ـ د . كمال بشر ـ
دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٠ م
ـ العين ـ الخليل بن أحمد ـ مطبعة العانى ـ بغداد ١٩٦٧ م
ـ غاية النهاية ـ ابن الجزرى ـ
القاهرة ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م
ـ القراءات الشاذة ـ عبد الفتاح القاضى ـ
عيسى الحلبى القاهرة
ـ قواعد التجويد ـ عبد العزيز القارى
ـ الكتاب ـ سيبويه ـ ط ـ أولى ـ بولاق ١٣١٧ هـ
ـ الكشّاف ـ الزمخشرى ـ
ط ـ ثانية ـ الإستقامة القاهرة ١٩٥٣ م
ـ كشف الظنون ـ حاجى خليفة ـ مكتبة المثنّى
ـ الكواكب السائرة ـ نجم الدين الغزّى ـ بيروت

ـ لطائف الإشارات لفنون القراءات ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٩٧٢ م
ـ اللغة العربية خصائصها وسماتها ـ د . عبد الغفار هلال ـ ط ـ أولى ـ القاهرة ١٩٧٦ م
ـ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث ـ د. رمضان عبد التواب ط ـ أولى ـ المدنى ـ القاهرة ١٩٨٢ م
ـ المطالب العليّة ـ ابن بشير الغزى ـ القاهرة
ـ معجم المؤلفين ـ عمر رضا كحالة ـ دمشق ١٩٥٧ م
ـ معرفة القراء الكبار ـ الذهبى ـ القاهرة
ـ مفتاح العلوم ـ السكاكى ـ ط ـ أولى ـ مصطفى الحلبى ـ القاهرة ١٩٣٧ م
ـ الممتع فى التصريف ـ ابن عصفور ـ بيروت
ـ المنح الفكرية على متن الجزرية ـ على القارى ـ القاهرة
ـ النجوم الطوالع ـ المارغنى ـ تونس
ـ النشر فى القراءات العشر ـ ابن الجزرى ـ دار الكتب العلمية
ـ نهاية القول المفيد ـ محمد مكى نصر ـ مصطفى الحلبى
ـ هداية القارى ـ الشيخ عبد الفتاح المرصفى القاهرة
ـ هدية العارفين ـ إسماعيل البغدادى ـ ط ـ ثالثة ـ استانبول ١٩٦٧ م

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

تم بحمد الله تعالى